





أقدم لك... عصر التنوير

< تأليف >

ليود سبنسر

أندرزيجى كروز

< ترجمة >

إمام عبد الفتاح إمام





Introducing... The Enlightenment



& Llyd Spencer
Andrzej Kraze



يتناول هذا الكتاب بالدرس والتحليل عصرا من أهم العصور التى مرت على الإنسان فى العصر الحديث ، وأعنى به "عصر التنوير" فى القرن الثامن عشر، رغم أنه يصعب تحديد العصر بقرن معين، ولعل هذا هو السبب الذى جعل المؤلف يبدأ كتابه بالحديث عن "الثورة المجيدة" فى إنجلترا وهى التى نشبت فى أواخر القرن السابع عشر.

والواقع أن عصر التنوير (أو الأنوار والاستنارة... إلخ) لم يكن مجرد حقبة متميزة أو تغير حاسم فى التاريخ الإنسانى فحسب، بل كان حركة سياسية، وعلمية، وأخلاقية هائلة، جعلت المثقفين فى أوروبا والعالم الجديد يرتبطون فى شبكة من الصداقة، والمشروعات المشتركة والمناقشات المتبادلة، ويبدءون فى تحرير أنفسهم من سلطة الكنيسة، ويجدون معنى لرسالتهم وهى الدعوة إلى إعادة التفكير فى العالم بمصطلحات دنيوية.



المشروع القومى للترجمة

أقدم لك ..

عصر التنوير

تأليف

ليود سبنسر

و

أندرزيجى كروز

ترجمة

إمام عبد الفتاح إمام

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٥


mohamed khatab

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٦٩٨
- عصر التنوير
- ليود سبنسر
أندرزيجى كروز
- إمام عبد الفتاح إمام
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب:

The Enligntenment

by: LIyd Spencer &
Andrzej Kraze

الصادر عن دار:
ICON BOOKS (2000)

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 Fax : 7358084

الفهرس

مقدمة

بقلم المترجم

أقدم لك .. هذا الكتاب ... !

هذا هو الكتاب الحادى والخمسون من سلسلة «أقدِّم... لك!»، وهو يتناول بالدرس والتحليل عصرا من أهم العصور التى مرَّت على الإنسان فى العصر الحديث، وأعنى به«عصر التنوير» فى القرن الثامن عشر، رغم أنه يصعب تحديد العصر بقرن معين؛ ولعل هذا هو السبب الذى جعل المؤلف يبدأ كتابه بالحديث عن «الثورة المجيدة» فى إنجلترا وهى التى نشبت فى أواخر القرن السابع عشر.

والواقع أن عصرالتنوير (أو الأنوار والاستنارة... إلخ) لم يكن مجرد حقبة متميزة أو تغير حاسم فى التاريخ الإنسانى فحسب، بل كان حركة سياسية، وعلمية، وأخلاقية هائلة، جعلت المثقفين فى أوروبا والعالم الجديد يرتبطون فى شبكة من الصداقة ، والمشروعات المشتركة والمناقشات المتبادلة، ويبدأون فى تحرير أنفسهم من سلطة الكنيسة، ويجدون معنى لرسالتهم وهى الدعوة إلى إعادة التفكير فى العالم بمصطلحات دنيوية.

ولقد كان المفكرون القادة لعصر التنوير فى القرن الثامن عشر يعتقدون أنه يمكن تفسير النظام الأساسى للكون عن طريق الجهود العلمية، وأنه يمكن السيطرة على كل مسارات الطبيعة والكشف عن أسرارها.

ويركز الكتاب على شخصيات رئيسية فى هذا العصرمنها: ڤولتير، ومونتسكيو، وديدرو، وروسو، وهولباخ، ودالمبير، وديفيد هيوم... لكنه لا ينسى الرواد الذين امتد أثرهم قويا إلى هذا العصر، ومنهم الفلاسفة الإنجليز: چون لوك، وفرانسيس بيكون، وتوماس هوبز ، وقبل هؤلاء جميعا إسحاق نيوتن.

كمـا عرض نماذج من كـتاباتهم التى كـان لها أثرها فى عـصر التنوير: الـرسائل الفارسيـة، وروح القوانين لمونتسكيو، والعـقد الاجتماعى وأصل التـفاوت لروسو، ومقال عن الفـهم الإنسانى، ورسالتان فى الحكم لجـون لوك.. فضلا عن الروايات والقصص والمسرحيات التى احـتوت على الكثير من الأفكار التنويرية، لكنه توقف طويلا عند «الموسـوعة» الشهـيرة والمواد التى تضـمنتهـا والصعوبات الـتى صادفت نشرها، وتوقف العـاملين بها ثم معاودة الكتـابة، ومصادرة السلطات لهـا، والجهود الجبارة التى بذلها فلاسفة التنوير لإصدارها، بمعاونة بعض الملوك ومعارضة بعضهم الآخر.. إلخ، وفـرار فلاسفة التنوير خـوفا من ملاحـقة السلطات لهـم: ڤـولتيـر إلى ألمانيا، وإلى إنجلتـرا، وروسو إلى جنيف ثم إلى إنجلترا، وديدرو إلى روسـيا.. إلخ. فتاريخ كتابة «الموسوعة» التى اعتبرت إحدى إنجازات عصر التنوير العظيمة ـ ملىء بالأشواك والمصـاعب والعرق والدموع! كـما يكتب المؤلف أيضًا عن آدم سـميث، وصامويل جونسـون، وإمانويل كانط، وبنيامين فرانكلين، وتوماس جيـفرسون كما يكتب عن الماسونية والأعضاء البارزين فيها: فهو إذن بحث مركز، وإن كان شاملا، فى حيز ضيق عن عصر من أخطر عصور الحضارة.

ومن هنا كـان الكتاب بالغ الأهمـية لكل مـثقـف يريد أن يلِمَّ بعصـر التنوير فى عجالة سريعة...

نرجو أن نكون قد وفقنا فى نقله إلى اللغة العربية...

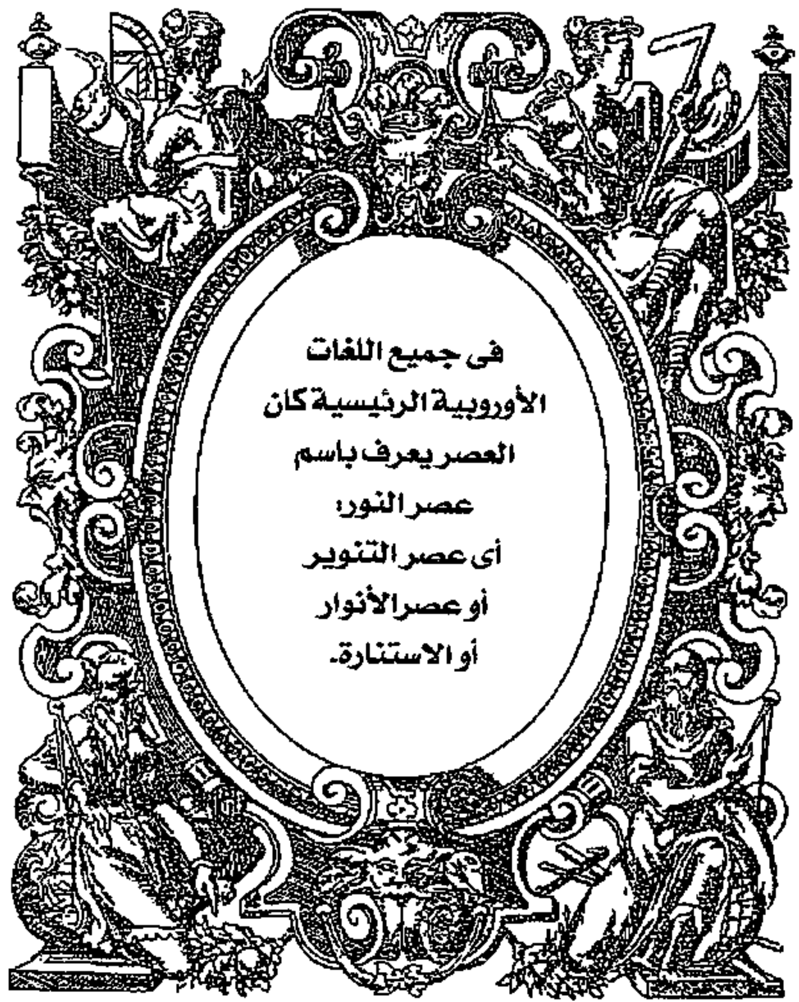
والله نسأل أن يهدينا جميعا سواء السبيل،

المشرف على سلسلة «أقدِّم لك ..»

إمام عبد الفتاح إمام

ليكن نور..

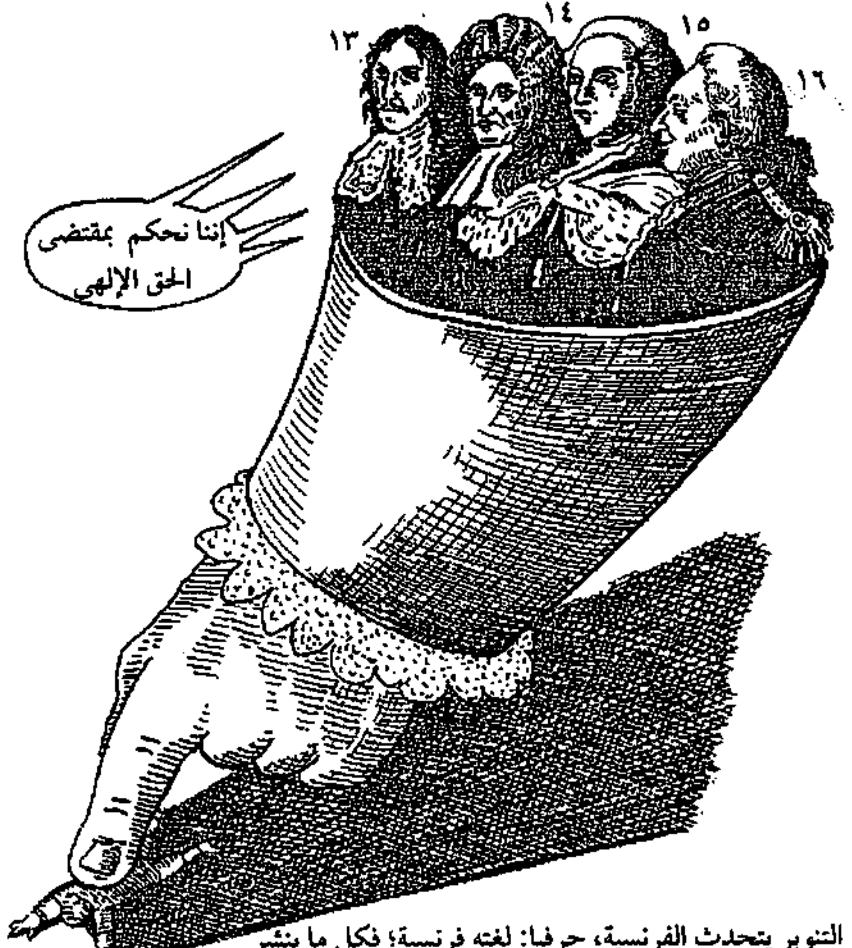
كان التنوير تيارا عقليا حرك أوروبا كلها إبان القرن الثامن عشر، وتركز فى باريس، ثم انتشر منها فى كل أرجاء أوروبا ومنها إلى المستعمرات الأمريكية، فكانت هناك شبكة من الكتاب والمفكرين، أعطت للقرن الثامن عشر تماسكا عقليا ملحوظا.



لقد شعر مثقفو عصر التنوير بأنهم جزء من حركة عظيمة تمثل التطلعات العليا والإمكانات الرفيعة للجنس البشرى، فهم مصلحون يؤمنون بأن قضيتهم يمكن خدمتها على أفضل نحو عن طريق عاطفة جديدة للبرهان، والنقد، والنقاش.

تألق الملك المطلق وإشعاعه

فى فرنسا كان عهد الملك المطلق: لويس الثالث عشر (١٦٠١ ـ ١٦٤٣)، ولويس الرابع عشر ـ الملك الشمس ـ (١٦٣٨ ـ ١٧١٥)، ولويس الخامس عشر، ولويس السادس عشر (١٧٥٤ ـ ١٧٩٣) قد جعل من باريس عاصمة الثقافة فى العالم، وخلق فى الوقت ذاته جمهوراً وهدفا للإصلاح فى التنوير الفرنسى.



التنوير يتحدث الفرنسية، حرفيا: لغته فرنسية؛ فكل ما ينشر فى فرنسا تتقبله فى الحال جماعة المثقفين فى كل أنحاء أوروبا، والمؤلفات المهمة التى لم تكتب أصلا فى فرنسا سرعان ما تترجم إلى اللغة العالمية. ويعلن رجال الأدب والثقافة فى أنحاء العالم أنهم تلاميذ للكتاب الفرنسيين.

باريس عاصمة التنوير



كان ذلك صحيحا بالنسبة إلى ديفيد هيوم، وآدم سميث فى إسكتلندا بقدر ما هو صحيح بالنسبة إلى بنيامين فرانكلين وتوماس جيفرسون فى المستعمرات الأمريكية، وسيزار بيكاريا فى ميلان. فهم يعرفون أنهم «وصلوا» عندما يقبلون فى صالونات باريس. فجماعة البلاط فى جميع أنحاء أوروبا، وكذلك طبقة البرجوازيين الأثرياء ينظرون إلى فرنسا على أنها النموذج للدولة.



كتب أحد الإقطاعيين فى مقاطعة سسكس الإنجليزية يقول: « الرجل الذى يفهم الفرنسية يستطيع أن يتجول فى أنحاء العالم دون خوف من أن لا يفهمه أحد، وفى استطاعته أن يكون مقبولا تمامًا من كل صحبة جيدة، وهو ما لا يحدث فى أية لغة أخرى مهما كانت».

بدايات النور

كتب لورد شافتسبرى فى ٦ مارس عام ١٧٠٦ رسالة إلى «لوكليرك» يقول فيها: «هناك نور قوى ينتشر فى جميع أنحاء العالم، لاسيما فى تلك الدول الحرة مثل إنجلترا وهولندا، فهى أكثر الدول تحرراً فى أوروبا ، فأمستردام تقدم مأوى للمفكرين الأحرار والمنشقين دينيًا من كل صوب». وفى عام ١٦٦٧ كتب الفيلسوف الإنجليزى چون لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) « رسالة فى التسامح»[1] وارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمتآمرين البروتستانت ضد حكم الملك الكاثوليكى جيمس الثانى (١٦٣٣ ـ ١٧٠١).



وهناك توافر لوك على كتابة مؤلفاته الرئيسية « مقال حول الفهم البشرى» و «رسالتان عن الحكومة»[2] ولقد ظل هذان الكتابان موضع مناقشات حادة إبان عصر التنوير.

(١) ترجمها عن اللاتينية الدكتور عبد الرحمن بدوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت عام ١٩٨٨ . (المترجم)

(٢) ترجمها إلى العربية الدكتور ماجد فخرى تحت عنوان « فى الحكم المدنى» اللجنة الدولية لترجمة الروائع عام ١٩٥٩ . (المترجم)

إنجلترا و "الثورة المجيدة" (١)

المقاومة المستمرة للملك جميس الثانى وأنشطته الكاثوليكية جعلت البرلمان الإنجليزى يستدعى وليم الثالث البروتستانتى الهولندى «أون أورانج» (١٦٥٠ ـ ١٧٢) وزوجته الثانية مارى الثانية لتولى عرش إنجلترا، فأبحرا من هولندا وأحدثا بذلك ثورة غير دموية هى التى تسمى باسم «الثورة المجيدة» عام ١٦٨٨.



ولقد أرست هذه الثورة ـ بالقطع ـ سيادة البرلمان الإنجليزى، وأصدرت إنجلتر ما سمى باسم «لائحة الحقوق»، وسرعان ما ظهرت إصلاحات أخرى فى إنجلترا أكثر الدول ليبرالية وتحررا فى أوروبا. وسمح قانون التسامح عام ١٦٨٩ لمعظم المنشقين البروتستانت ـ بما فى ذلك بعض الفرق من أمثال الكويكرز ـ بالعبادة فى حرية دون أن تكون لهم وظائف عامة. وفقدت كنيسة إنجلترا احتكارها للعبادة الدينية، والتربية، والبقايا الأخيرة من سيطرتها على الصحافة فى عام ١٦٩٥.



(١) يطلق تعبير «الثورة المجيدة» فى التاريخ الإنجليزى على أحداث السنوات (١٦٨٨ـ ١٦٨٩) التى أدت إلى خلع جيمس الثانى وتولية وليم ٣ «أورانج» البروتستانتى وزوجته مارى٢ اللذين قبلا قانون الحقوق، وأقرا سيادة البرلمان. (المترجم)

عصر الثورات

العاصمتان العالميتان الكبيرتان: باريس ولندن، نمتا معا بطريقة درامية إبان القرن الثامن عشر، إلا أن القوة التجارية لإنجلترا كانت تعنى أن لندن أكثر تقدما، فقد كانت إنجلترا فى النصف الأول من القرن تمر بثورة زراعية، وفى النصف الثانى من القرن تقدمت الثورة الصناعية بضع خطوات.



لقد حاولت هذه الثورات أن تضع مبادئ عصر التنوير موضع التطبيق العملى.

المقاهى، والنوادى الاجتماعية، والصحافة

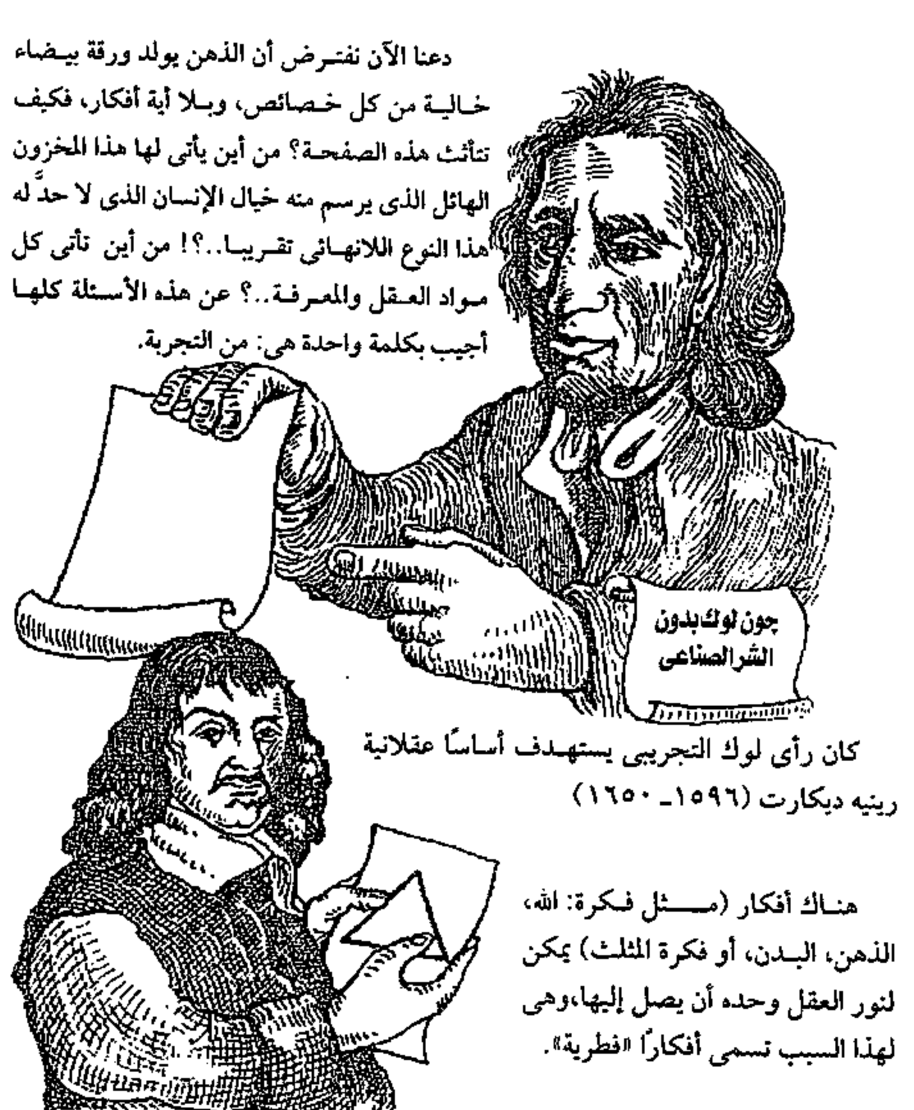
كان ذلك أيضًا عصر صحافة الأفكار، والألفة العامة أو المؤانسة. كما كانت المقاهى الحياة الثقافية فى لندن، فلم يحل عام ١٧٤٠ إلا وكان هناك أكثر من ٤٠٠ مقهى فى منطقة وستمنستر وحدها. واستخدمت البنوك المقاهى، كما استخدمتها شركة الهند الشرقية للتجارة، وأصبحت مقهى «لويد» فى عام ١٦٩١ هى «لويد لندن»، أى مركز التأمين البحرى.



الصفحة البيضاء عند لوك

كان الكتاب الأساسى فى القرن الثامن عشر للفيلسوف ولغير الفيلسوف على السواء هو كتاب جون لوك «مقال عن الفهم البشرى» عام ١٦٩٠ . كان المعتقد الفلسفى عند معظم مفكرى عصر التنوير، تقريبا، هو مبدأ جون لوك القائل بأن الذهن يولد «صفحة بيضاء» وأنه ليس هناك أفكار «فطرية» وأن كل معرفة مستمدة من التجربة.

دعنا الآن نفترض أن الذهن يولد ورقة بيضاء خالية من كل خصائص، وبلا أية أفكار، فكيف تتأثث هذه الصفحة؟ من أين يأتى لها هذا المخزون الهائل الذى يرسم منه خيال الإنسان الذى لا حدّ له هذا النوع اللانهائى تقريبا..؟! من أين تأتى كل مواد العقل والمعرفة..؟ عن هذه الأسئلة كلها أجيب بكلمة واحدة هى: من التجربة.



كان رأى لوك التجريبى يستهدف أساسًا عقلانية رينيه ديكارت (١٥٩٦ـ ١٦٥٠)

هناك أفكار (مثل فكرة: الله، الذهن، البدن، أو فكرة المثلث) يمكن لنور العقل وحده أن يصل إليها، وهى لهذا السبب تسمى أفكاراً «فطرية».

تفرق تجريبية لوك بين نوعين من التجربة: الإحساس الخارجي والتأمل الداخلي.



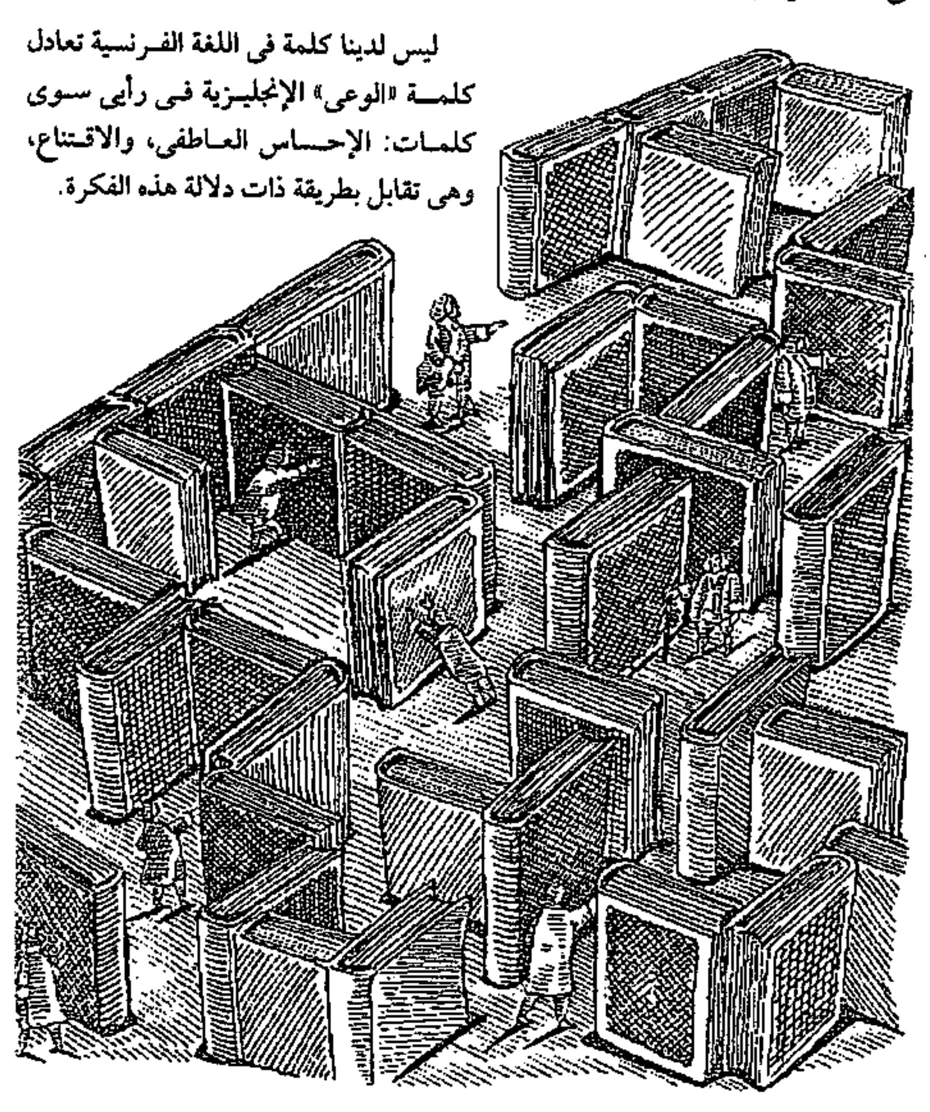
وفي فرنسا عمد إيتين كوندياك (١٧١٥ ـ ١٧٨٠) إلى جعل فلسفة چون لوك شعبية، فأكد في كتابه «مقال عن أصل المعرفة» عام ١٧٤٦ دور الانطباعات الحسية أو الإحساسات.

والتقى «المذهب الحسي» مع المذهب المادي، والنظرة الحتمية إلى الطبيعة البشرية التي طورها فلاسفة التنوير من أمثال «لامتري» «وهولباخ».

ولقد شدد لوك نفسه على دور التأمل والتفكير واعترف بدور الملكات الذهنية، كما اعتقد فضلاً عن ذلك في ميلنا الفطري إلى البحث عن اللذة وتفادي الألم، وهذه الجوانب هي التي اشتغل عليها كوندياك.

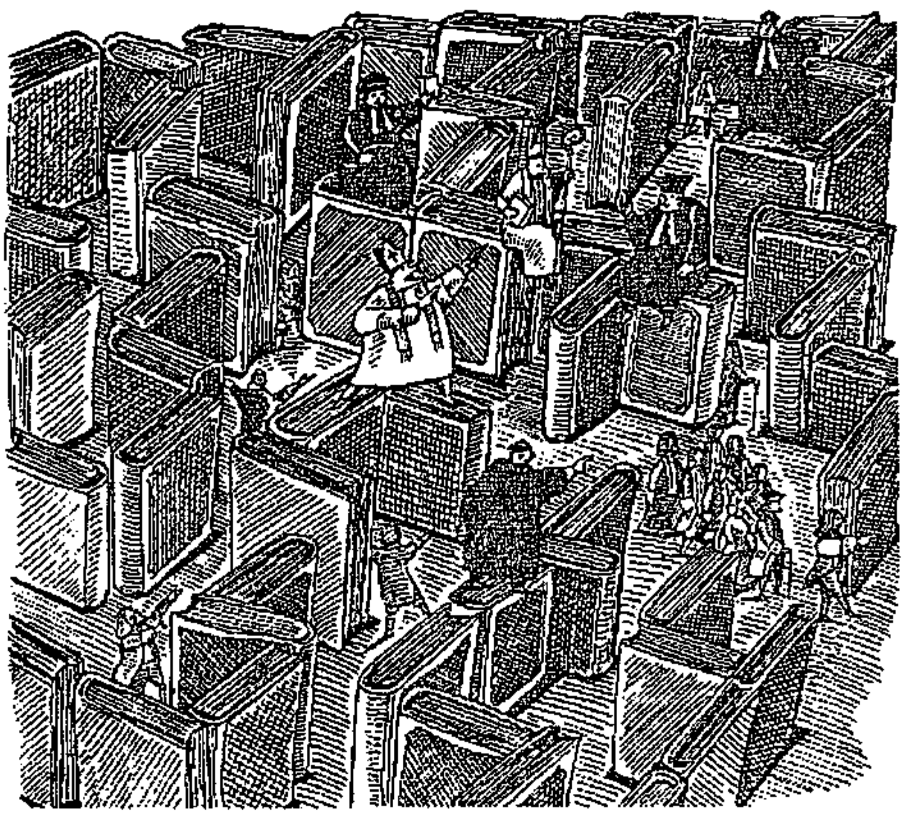
لغة الذات

أدخل «بيير كوست» الذى ترجم كتاب جون لوك: «مقال عن الفهم البشرى» عام ١٧٠٠ ملحوظةً يشرح فيها لماذا ترجم مصطلح«الوعى» بكلمة «الضمير» الفرنسية فقط ليستشهد بعبارة شرون «الوعى الأخلاقى يعنى معرفة الإنسان لنفسه»، لكنه يعترف بأنه انحرف بكلمة الضمير الفرنسية من معناها العادى المألوف ليعطيها معنى لم يكن لها أبداً فى اللغة الفرنسية.



فهم حدود فهمنا

لعدة مئات من السنين ظلت أرض السيرة الذاتية محجوزة كلها للقساوسة والمعترفين، وكانت الكنيسة تملك لغة غنية متطورة للمبادئ الأخلاقية. ودراسة لوك للفهم البشرى قادته إلى تطوير لغة جديدة عن الجوانية التى يمكن أن نسميها لغة سيكولوجية. ولم تكن كلمة السيكولوجيا تستخدم كثيرا فى القرن الثامن عشر، ولقد شرع لوك فى توجيه نقد مدمر لما كان لدى أساتذة الجامعات فى العصور الوسطى من «نسيج من الكلمات المربكة الغريبة والتى لا يمكن تفسيرها». وبدأ يخطط لتحكم جديد للجانب الداخلى.



فهمنا محدود، وعلينا أن نقبل حدوده، لكن داخل الحدود المفروضة علينا، دعنا نمارس أقصى فهم ممكن عن طريق دراسته والوقوف على طريقة عمله.. وينبغى علينا أن نلاحظ كيف تتشكل أفكارنا وكيف تتجمع وتترابط الواحدة مع الأخرى، وكيف تحتفظ بها الذاكرة. وبالنسبة لهذا النشاط كله، فمازلنا نجهله حتى الآن جهلا تاما.

علم النفس... والرواية

علم النفس، كما فهمه القرن الثامن عشر، هو العلم الذى خطط له چون لوك، وكان كتاب «المقال ... » لچون لوك المنبع والمصدر الأساسى لضرب من الأدب يتعامل مع «ردود أفعال الذات» المتماسكة أو غير المتماسكة للانطباعات التى تؤثر فيها وتشكلها.



فى الوقت الذى كان لورنس ستيرن (١٧١٣ ـ ١٧٦٨) يكتب روايته «حياة وآراء ترسترام شادى» (١٧٥٩ ـ ١٧٨٧) كان كتاب «المقال ... » لچون لوك يتغلغل فى الوعى الأدبى بطريقة تختلف أتم الاختلاف عن أى كتاب «فلسفى» آخر، بل إن رواية ستيرن تقدم لمحة مختصرة عن كتاب چون لوك العظيم.

ترسترام شاندى

صل ، يا سيدى فى كل قراءة تقرؤها، هل قرأت فى أية قراءة قرأتها كتابا مثل كتاب جون لوك «مقال عن الفهم البشرى»؟ لا تتسرع فى الإجابة لأننى أعرف أن كثيرين اقتبسوا من الكتاب ولم يقرءوه وأن كثيرين قرءوه، ولم يفهموه.



لو كانت حالتك هى أيا من هاتين الحالتين، فإننى سوف أخبرك فى ثلاث كلمات ما هو هذا الكتاب: إنه تاريخ ـ تاريخ لمن؟ ولماذا؟ وأين؟ ومتى..؟

.. إنه كتاب فى التاريخ.. تاريخ ما مرَّ على ذهن الإنسان، وإذا ما أردت أن تقول الشىء الكثير عن الكتاب، بغير زيادة، صدقنى أنك لن تتجاهل أية شخصية حقيرة فى دائرة الميتافيزيقا.

.. تأثير لوك الاجتماعي

تجاوز تأثيـر جون لوك المدارس والجامـعات، والمجتمـعات المثقـفة والأكاديميات؛ فـقد أصبحت أفكار«لوك » «خصائص» لازمة للنخبة المثقفة.



قصص خيالية فى خدمة الحقيقة

كان هناك تفاعل مستمر فى أدب القرن الثامن عشر بين الفلسفة والقصة الخيالية، وهذه الروايات تراث يمتد إلى الوراء حتى الإمبراطورية الرومانية، إلا أن القصة الخيالية فى عصر التنوير واجهت مهاما جديدة، وملحةً.

والقصة الخيالية تناسب بطريقة فريدة السن التى يقوم فيها الفتى ـ أو الفتاة ـ بشق طريقه إلى العالم، أما القراء الذين يزداد حب استطلاعهم ومعلوماتهم فيتوقعون حكايات عملية ونموذجية. وتوضع الأفكار المتلقاة على محك اختبار التجربة، وتقاسى الأعراف الأدبية من مطالب الواقع غير المنظم.

لقد كانت الرواية فى عصر التنوير تتميز بتركيزها على الفرد الواحد وتتحقق من أثر العالم الذى لا يمكن التكهن به على تجارب هذا الفرد.



وهناك نوع آخر من المعرفة يجاوز سلطة التعليم ويمكن تحصيله عن طريق المناقشة، ولا يمكن للكشف العملى الحقيقى أن يُعرف إلا عن طريق العالم فحسب.

---

(١) دانيال ديفو (١٦٦٠ ـ ١٧٣١): أديب إنجليزى كتب روبنسون كروزو عام ١٧١٩ . (المترجم)

(٢) فيلدنج، هنرى (١٧٠٧ ـ ١٧٥٤): روائى وكاتب مسرحى إنجليزى كتب «جوزيف أندروز» التى وصفها بأنها «ملحمة هزلية» كما كتب مسرحيات كلها كوميدية . (المترجم)

مغامرات الـ ...

يسافر أبطال القرن الثامن عشر وبطلاته حول العالم فى رحلاتهم التشردية، آملين فى تحسين أنفسهم وتحسين مصيرهم فى الحياة، وهم يحاولون ـ على أقل تقدير ـ تدعيم شعورهم بقيمتهم الذاتية فى مواجهة الشدائد والمحن والفساد، والغواية.



فى كثير من هذه القصص نلتقى بالشخصية الرئيسية وهى متورطة فى مشكلة أخلاقية أو مأزق أخلاقى، وكثيرا ما نعلم كل حركة يقوم بها، وبكل نزوة يعانون منها، من خلال الخطابات التلقائية التى يكتبونها.

رواية باميلا (للروائى الإنجليزى صمويل ريتشاردسن)، هلويز الجديدة (لچان چاك روسو) آلام ڤرتر الشاب (لجوته)، العلاقات الخطرة (شودر لوز دى لاكلوز).

روايات الفلاسفة

الروائيون فى عصر التنوير لم يستعيروا، ببساطة، مجموعة من الأفكار الفلسفية، وإنما جعلوها درامية ووهبوها الحياة، ولقد كتبت بعض الروايات العظيمة فى هذا العصر بقلم أعظم فلاسفته أهمية. فقد كانت «هلويز الجديدة» التى كتبها چان چاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) أكثر القصص رواجا فى القرن الثامن عشر، كما لاقت «الرسائل الفارسية» لمونتسكيو، و«كانديد» لڤولتير نجاحا فى كل أوروبا، أما التحفة الأدبية لديدرو فكانت: «چاك المؤمن بالقضاء والقدر».



مثل قصة ديفو «روبنسن كروزو»، لكن على نطاق أصغر، هذه القصص عبارة عن «تجارب فكرية».

وتشمل حكايات ڤولتير رواياته: كانديد، والحكايات الأقصر، ومكرميجاس، وزاديج، والساذج، والثور الأبيض.



وكانت إحدى السير الذاتية المبكرة التى كتبها ڤولتير، يعترف الماركيز دى كوندورسيه (١٧٤٣ ـ ١٧٩٤) بالعبقرية الفنية التى ظهرت فى كتابة «كانديد» وغيرها مثل الحكايات الفلسفية، فمن سوء هذا الجنس أن ظهر بمظهرالسهل البسيط، «لكنه يتطلب مواهب نادرة مثل أن تعرف كيف تعد بلعبة الذكاء والخيال ـ أو حتى بأحداث القصة ـ نتائج فلسفية عميقة دون أن يتوقف عن أن يكون طبيعيًا، وكيف يكون لاذعا دون أن يكف عن أن يكون صادقا، فعلى المرء أن يكون فيلسوفًا، دون أن يبدو أنه كذلك». كوندورسيه.

كانديد

سخر ڤولتير في قصة كانديد أو التفاؤل «عام ١٩٥٩» لا من التفاؤل فقط، بل من جميع أشكال المذهب من ليبنتز ومذهبه الميتافيزيقي إلى مذاهب الكنيسة والمذاهب الاستعمارية، بل حتى مذهب المنطق نفسه ـ والقصة تتبع البطل «كانديد» في معظم العالم المعروف في ذلك الوقت عارضًا أنواع النفاق والجنون ومؤسساته ومواقعه. وكان يصاحب «كانديد» دكتور «بانجلوس» الذي يردد ترديدا ببغاويا لصورة ممسوخة غير منطقية لمذهب ليبنتز، وكان يؤمن إيمانا لا يتزعزع بأن المنطق والعقل يمكن أن يبررا جميع شرور الوجود بأن يتجاهلا الوقائع ميتافيزيقيا، وتنتهي الرواية عندما يدرك كانديد في النهاية أن العمل أكثر نفعا من النظر الفارغ.



روايات عصر التنوير

دانيل ديفو (١٦٦٠ ـ ١٧٣١): كان من أوائل الكتّاب الذين كسبوا عيشهم ككاتب محترف مستقل، فقد كتب أكثر من خمسمائة عمل تم نشرها بما فى ذلك الكتابات الصحفية السياسية والدينية. فى عام ١٧٠٤ عندما كان يعمل موظفا حكوميا بدأ فى نشر صحيفته الخاصة، بعنوان، الصحيفة النقدية The Review وكانت الصحافة هى الأساس فى نشر بعض الكتب الرئيسية مثل «يوميات سنة الطاعون» ١٧٢٢، وكان ديفو تقريبا فى الستين من عمره عندما كتب أول قصصه الخيالية: «روبنسن كروزو» عام ١٧١٩، ثم أعقبتها قصص أخرى مثل: «حظ وبؤس مول فلاندز الشهيرة» ١٦٢٢، و«روكسانا السيدة المحظوظة» عام ١٧٢٤ ، و«جوناثان سويفت» ١٦٦٧ ـ ١٧٤٥ الذى أرسل إلى لندن مبعوثا للكنيسة الأيرلندية. وكتب العديد من النشرات وأسس نادى التهكم مع غيره من الساخرين من أمثال مبتكرشخصية «جو بول»[1] چون آربثنوت (١٦٦٧ ـ ١٧٤٥) ، والشاعر ألكسندر بوب (١٦٨٨ ـ ١٧٤٤)، والكاتب المسرحى چون جاى (١٦٨٥ ـ ١٧٣٢)، وفى عام ١٧٢٦ نشر سويفت كتابه الساخر العظيم: «رحلات جاليفر». ولقد استهدفت روايات صموئيل ريتشاردسن (١٦٨٩ ـ ١٧٦١) إدخال الجانب الأخلاقى فى صورة جديدة تسمى كتابة اللحظة: «باميلا أو جزاء الفضيلة» (عام ١٧٤٠)[2] وكلاريسا أو تاريخ سيدة شابة (١٧٤٧ ـ ١٧٤٨) [3]وهى مكتوبة على شكل رسائل المفترض أنها أرسلت مباشرة بعد تورط الناس، وهذا الأسلوب فى السرد القصصى سخر منه هنرى فيلدنج (١٧٠٧ ـ ١٧٥٤) بروايته «شاميلا» عام ١٧٤١، وكانت مسرحيات فيلدنج الساخرة قد استفزت فقرة من قانون الرفض (عام ١٧٣٧) والرقابة على المسرح. ففى مقدمته لرواية «چون أندروز» عام ١٧٤٢ يعترف فيلدنج بأنه متحير فيما يطلقه على شكل قصته الخيالية أهى «قصيدة ملحمية كوميدية فى قالب نثرى». وروايته الرئيسية الأخرى هى «جوناثان وايلد » عام ١٦٣٤ ، وتوم جونز ١٧٤٩، والمثل الذى وضعه فيلدنج تابعه الروائى الأسكتلندى طوبياس سمولت (١٧٢١ ـ ١٧٧١) الذى كتب روايات رودريك راندم (١٧٤٨) و«مغامرات بريجرين بيكل» ١٧٥١ «ومغامرات سير لانسوف جريفز» ١٧٦٢ «وحملة همفرى كلينكر» ١٧٧١ . وتبنى چون كيلاندر (١٧٠٩ ـ ١٧٨٩) شكل الرواية ليروي ذكريات امرأة المتعة «تعرف عادة باسم فانى هيل» وابتكر رواية كلاسيكية من الأدب المكشوف.

(١) شخصية ابتكرها چون آربثنوت ليروى من خلالها بصورة فكهة خصومات نيقولا فروج (لويس الرابع عشر) ولم يستطع أحد كتابة التاريخ على هذا النحو الهجائي الطريف. (المترجم)

(٢) «باميلا» قصة خادمة صبية جميلة يحاول سيدها أن يغريها بشتى الوسائل ولايفلح ثم يتزوجها أخيراً ولا يندم على هذا الزواج . (المترجم)

(٣) كلاريسا فتاة من الريف، نبيلة جميلة ناعمتسعدت على الأرض سعادة الملائكة إلى أن ظهر «لفّليس» الشيطان فى صورة إنسان.. إلخ . (المترجم)

في لحظات يائسة بسبب حاجته الملحة إلى المال لمساعدة أمه المريضة لم يستغرق صموئيل جونسون (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤) سوى أسبوعين فقط لكتابة « تاريخ راسلاس : أمير أبسينيا » (١٧٥٩) وهي رواية أخلاقية تسير في تواز دقيق مع رواية ڤولتير «كانديد» ونشرت في العام نفسه، وأخرج كاهن إنجليزي هو لورانس ستيرن (١٧١٣ ـ ١٧٦٨) أكثر الروايات غرابة في عصر التنوير وهي «حياة ترسترام شادي وآراؤه » في تسعة مجلدات (١٧٥٩ ـ ١٧٦٧) وكتابه الرئيسي الثاني «رحلة عاطفية» «عام ١٧٦٨) يمثل أدب « الحس الرفيع» أو رقة المشاعر الذي كسب أرضا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

وكان أبيه بريڤوست (١٦٩٧ ـ ١٧٦٣) من الصحفيين المتحمسين ومترجمًا دءوبا لا يكل ولا يمل، دائم التردد على حلقات الفلاسفة، قدمت روايته الشعبية «مانون ليكو» عنصراً تراجيديا في جنس الرواية، كان بيير كارليه دي ماريڤو (١٦٨٨ ـ ١٧٦٣) كاتبا مسرحيا فرنسيا رائدا في القرن الثامن عشر، كتب «حياة مارين» (١٧٣١ ـ ١٧٣٢) و«الفلاح محدث النعمة»، (١٧٣٤ ـ ١٧٣٥) ومجموعة من القصص الجميلة، رغم أنها لم تتم، استرعت انتباه فرنسا المعاصرة ، وكانت «الرسائل الفارسية» لمونتسكيو عام ١٧٢١ أكثر كتب القرن رواجا حتى ظهور رواية «كانديد» لڤولتير التي نشرها في باريس وجنيف، ولندن، وبروكسل في وقت واحد ليجعل الرقابة عليها مستحيلة، ولقد ظهرت ترجمتها الإنجليزية في ستة أسابيع . وهناك القصص الخيالية الخطيرة لـ «ديدرو» مثل «الراهبة» عام ١٧٦٠، و «ابن أخ رامو» عام ١٧٦٣ وكتابه الرئيسي «چاك المؤمن بالقضاء والقدر» في ١٥ حلقة (١٧٧٨ ـ ١٧٨٠) وكثيرا ما كان ديدرو يجسد الأحداث والأشخاص في محاورات فلسفية خيالية، وذلك مثل «حلم دالمبير»، وكان أعظم القصص الخيالية رواجا في أواخر القرن الثامن عشر هي قصة «جولي أو هلويز الجديدة» «روسو»، عام ١٧٦١، وهناك قصة في شكل رسائل «أو الرسائل الروائية» عن أوقات الشدة والضيق في الحب المحيط الذي يثير العاطفة ، وكذلك الحساسية في علاقات أو «ارتباطات خطرة» عام ١٧٨٢ بقلم بيير أمبرواز فرانسوا شودرلو دي لاكلوس (١٧٤١ ـ ١٨٠٣) التي تروي قصة مغويين فاجرين في شكل رسائل خفية مليئة بالتهكم والسخرية، وهناك جوستين الجديدة عام ١٧٩٧ وهي قصة بقلم الماركيز دي ساد (١٧٤٠ ـ ١٨١٤) وهي نسخة منقحة وموسعة من قصته «جوستين أو سوء حظ الفضيلة» (١٧٧٩) وهي تعبير مفصل عن السادية الجنسية، وكانت تستهدف استدعاء أصداء عنوان روسو.

فكرة المتوحش النبيل

كان القرن الثامن عشر هو عصر السياحة العظيم، عصر التجارة البحرية والاستكشاف؛ مما شجع على شكل من أشكال «الأنثروبولوجيا المقارنة».

ففي عام ١٧٦٧ وصل المستكشف الفرنسي لويس أنطوان دي بوجنفيل (١٧٢٩ - ١٨١١) إلى تاهيتي[1]، وفي عام ١٧٦٩ استقر كابتن كوك (١٧٢٨ - ١٧٧٩) هناك لمدة أربعة أشهر ليراقب مرور فينس Venus «كوكب الزهرة»[2] ولما كان بوجنفيل من أتباع «روسو» فقد عثر بين أهل تاهيتي على كل صفات «المتوحش النبيل». أما كابتن كوك فقد كان مواطنا عنيدا من يوركشير.

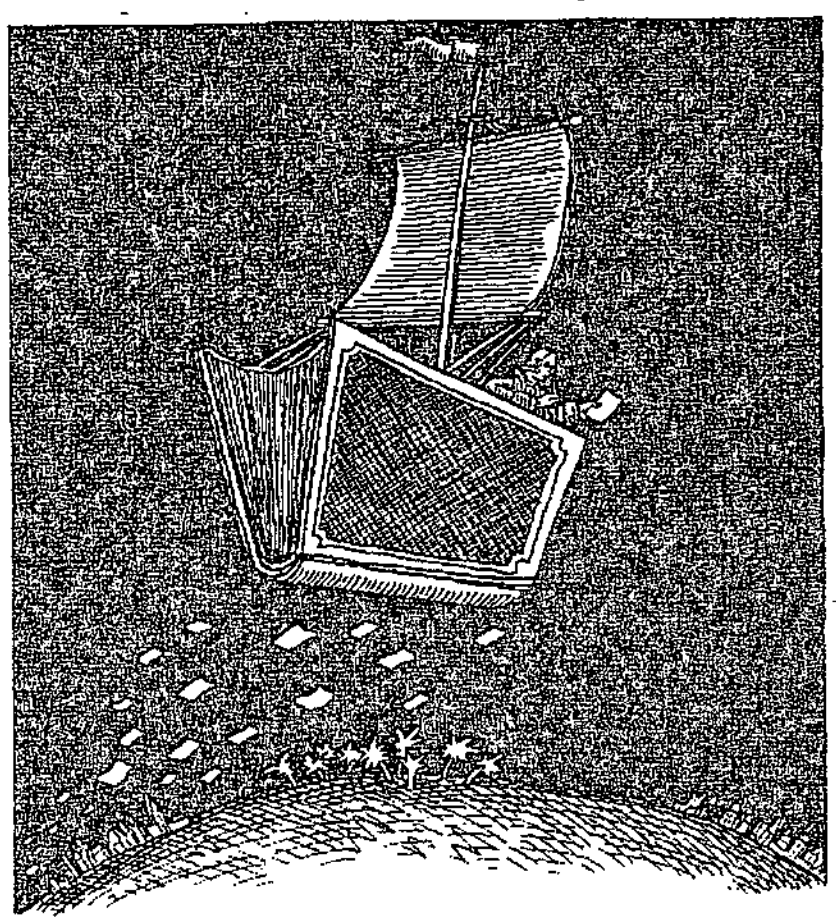


استخدم «ديدرو» في استكمال لرحلة بوجنفيل منظور «عين البريء» لرجل تاهيتي لتسليط الأضواء على غرابة العادات والتقاليد التي اعتبرت «طبيعية». وسرعان ما تساءل المثقفون اللامعون من أهل باريس ولندن عما إذا لم تكن كلمة «الحضارة» تناسب أهالي جزر البحار الجنوبية الذي لم يفسدوا، أكثر مما تناسب المجتمع الفاسد على نحو لا مثيل له في أوروبا في القرن الثامن عشر.

(١) لويس أنطوان دي بوجنفيل (١٧٢٩ - ١٨١١) : ملاح ومستكشف فرنسي، قاد أول بعثة فرنسية أبحرت حول العالم (١٧٦٦ - ١٧٦٩) اكتشف عام ١٧٦٨ جزر بوجنفيل كبرى جزر سليمان فكرِّم بإطلاق اسمه عليها. (المترجم)

(٢) جيمس كوك J. Cook (١٧٢٨ - ١٧٧٩): ملاح ومستكشف بريطاني يعتبر أحد الملاحين في التاريخ، قاد ثلاث بعثات علمية إلى نصف الكرة الجنوبية ووصل إلى اكتشافات مهمة في أستراليا والمحيط الهادي، قُتل في هاواي، يُعرف باسم الكابتن كوك Captain Cook . (المترجم)

فكرة «المتوحش النبيل» أو (المواطن البسيط) تضرب بجذورها في أدب القرن الثامن عشر، فيكاد يكون من الصعب على المؤلف سواء أكان جادا أم هازلا أن يفشل في وصف «توحشه» لقرائه. لقد بدأ «مونتسكيو» بأميره الفارسي كما سوف نرى، أما ڤولتير فقد جعل هذا النمط خالدا في قصة «كانديد» ، كما حلله «بوفون» في يقظة آدم، وخلق «روسو» دوره الخاص بتمثيل المتوحش في اعتزاله المتفرد.



وبحلول عام ١٧٧٠، لم يكن هناك تلميذ في الفلسفة إلا ويسعى لمراجعة قوانين وعادات بلاده في ضوء نصائح أهل الصين أو أهل «إروكوا»[١] كما أن ابن الأسر الكريمة ربما يسافر مع كاهنه. دعنا نرى كيف سار مونتسكيو مع هذه الفكرة.

(١) Iroquois : قبائل من الهنود تشمل خمس أمم مرتبطة فيدراليا. (المترجم)

الرسائل الفارسية...[1]

ولد مونتسكيو (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) أو البارون شارل لويس دي سكوندا، بارون دي لابريد، ومونتسكيو ـ إذا شئنا أن نذكر اسمه كاملا ـ ولد من أصل نبيل[2]، وورث مركزا رفيعا كرئيس للمحكمة العليا في مقاطعة بوردو، وفي عام ١٧٢١ نشر (غُفلا في هولنده) ما سوف يصبح واحدا من أكثر الأعمال المعارضة للمؤسسة الحاكمة تأثيرا في القرن الثامن عشر وهو كتاب «الرسائل الفارسية».

والكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل كتبها اثنان من الفرس هما «أوزبك Us-bek» و«ريكا Ricca » في أثناء إقامتهما في باريس، وأسفارهما في أوروبا، إلى أصدقاء في وطنهما وقد شرع الفارسيان في «رحلتهما العظيمة».



(١) ترجمها إلى العربية أحمد كمال يونس، وراجعها عبد الحميد الدواخلي ونشرتها دار سعاد الصباح ط ٢ عام ١٩٩٢.(المترجم)

(٢) كان مونتسكيو ينتسب إلى ما يسمى «نبلاء السلاح، ونبلاء الرداء» فقد كان أبوه كبير القضاة وأمه صاحبة قصر «لابريد» وأرضها، وهو القصر الذى ولد فيه مونتسكيو .(المترجم)

وفى عـام ١٧٥٤ قـدَّم مونـتـسكيـو «بعض التأملات حول الرسائل الفارسـية» شرح فيها «... أنه فى الروايات المألوفـة لا يُسـمح بالاسـتطراد إلا إذا شكل هو نفسه قـصة جديدة، غير أن اسـتخدام شكل الرسـائل التى لا يناقش فـيـهـا اخـتـيـار الشخصيات ولا المقطوعات، لابد له من أن يناسب النوايا والمقاصـد أو الخطط المتصورة مقـدما، يكون للمؤلف ميزة استطاعته إدخال: الفلسفة والسياسة، والخطاب الأخـلاقى داخل الـقـصـة، وإمكان ربط كل شىء مـعا بسلسلة سـرية تظل خفـية، أو غـير مرئية إنْ صحَّ التعبير».

لا شىء يسر الجمـهور ويسعده، فى الرسائل الفـارسية، أكثر من عثوره على نوع غير متوقع من القصة.



الكثير من الرسـائل يصف الناس والمؤسسات فى باريس، لقد بدت بعض العـادات المقبولة غريبة جدا فى أعين الـزوار الفرس، أصحـاب الذهن السـاذج، لكه مفـتوح، ولقد حـاولا على الدوام التمـييز بين ما هو مـحلى وخاص بالعرف، ومـا هو عام وكلى أو«طبيعى». فـفى الرسالة رقم ٣٠ على سـبيل المثال يكتب ريكا إلى إبين Ibben عن رد فـعل الباريسـيين على الملابس والحلّة بوصفـها علامات علـى الأعراف الاجتمـاعية «عندمـا وصلت إلى باريس كانت الأنظار تتطلع إلىّ كما لو كنتُ هبطت من الســماء: فالشيوخ والشباب والنسـاء والأطفال كلهم يحبون أن يرونى.. وخـلاصـة القــول: إن الأنظار لم تـتجـه إلى أحـد كـمـا اتجهت إلىّ».



وقد حملنى ذلك على أن أخلع الثياب الفارسية وأرتدى الأوروبية لأرى هل يبقى فى سحنتى شىء غريب، وهـذه التجربة عرفتى قيـمتى الحقيقـية، إذ أننى لما تخلصت من كل حلية أجنبية، قـدرت تقديراً أدق، وكان من حقى أن أشكو من الخياط الذى أفقدنى انتباه الجمهور وتقـديره فى لحظة واحدة وحرمتنى حلته اعتبـاري، واهتمام الناس بى وكأنى لم أكن شيئًا مذكورا[١].



---

(١) « .. فصرتُ أحيانا أقضى ساعة فى جمـاعة دون أن يلتفت إلىّ أحد أو يتيح لى فرصة أن أفتح فمى لكن إذا حدث عرضا أن يخبر أحد الجمع بأني فارسى سـمعت حولى على الفور لفظا فيقول قائل: وى ! هل السيد فـارسىّ؟ هذا أمر غريب، كيف يمكن أن يكون الإنسـان فارسيا!». راجع التـرجمة العربية سالفة الذكر ص ٧٠ ـ ٧١ .(المترجم)

لقد استطاع مونتسكيو أن يسخر من أعمـدة المؤسسات القائمة مثل المراتب التصاعدية لوظائف الكنيسة.



وعندما أبدت السلطات الكنسـية غضبها واسـتياءها كان مونتسكيـو يقول إن الفرس هنا يكشفون عن جهلهم!

(١) يشير مترجم «الرسـائل الفارسية» إلـى أن المؤلف يقصد رجـال محاكم التفـتيش. راجع الترجـمة العربية ص ٧٨ ، وإن كان ذلك يتعارض مع حديثه عن المسبحة فى الأسطر التالية .(المترجم)



(١) « .. بلغ الأمر إلى أن جعلهم يعتقدون أنه يشفيهم من شتى الآلام إذا لمسهم، فما أعظم قوته وسلطانه!» الرسائل الفارسية ترجمة أحمد كمال يونس ص ٥٤ ـ الناشر مكتبة سعاد الصباح ـ الطبعة الثانية عام ١٩٩٢ .(المترجم)

وما يثير القارئ بصفة خاصة هو المجموعة الغريبة الماجنة من أحداث القصة التى تنكشف تدريجيا لسلوك الحريم غير المنضبط الذى تركه السائح الفارسى وراءه، وفى رسالة مبكرة من أوزبك إلى كبير الخصيان برثى، وإحدى زوجات أوزبك تتحسر على غيابه[1].



أنا أذكر تلك الأوقات السعيدة التى اعتدت أن تأتى فيها إلى أحضانى، ما أتعس امرأة لها مثل هذه الرغبات العنيفة عندما تحرم من الرجل الوحيد الذى كان يمكن أن يشبعها... عندما تترك لنفسها لابد من أن تقضى وقتها فى رغبة مجنونة غير مشبعة.

---

(١) الرسالة الأولى هى رسالة إلى كبير الخصيان وهى رقم ٢ ، ثم رسالة فاطمة زوجة أوزبك وهى الرسالة السابعة . (المترجم)

والرسائل الفارسية هى أيضًا قصة شهوانية مثيرة عن الانفعالات الجنسية المحبطة، وكلما واصل الفيلسوفان الفارسيان رحلاتهما قارنا بين المحرمات الجنسية وعادات الغرب بما لديهما من عادات ومحرمات، ولسوء الطالع كلما طالت رحلات الفارسيين، زادت الاضطرابات بين الحريم الشرقى فى سراء السلطان.

ولقد رأى مونتسكيو بوضوح كيف أن نظام الحريم كان ضربا من الاستبداد، ومن ثم فهو مسألة غير طبيعية، فهو يفسد جميع العملاء، إذ يبحث الخصيان عن تعويض عن حرمانهم الجنسى بأن يشبعوا شهوتهم إلى السلطة، فبعد أن قامت «روكسانا» بقتل نفسها فى باريس بأن شربت السم ـ وهى الزوجة الأثيرة المفضلة عند أوزبك ـ كتبت تقول فى رسالتها الأخيرة أنها قد خدعت فى زوجها الطاغية.



لقد بيعت قصة مونتسكيو كما تباع الحلوى، فطبعت منها عشر طبعات فى عام واحد، وحظى مونتسكيو الذى كان قد تزوج عام ١٧١٧ بنجاح اجتماعى وغرامى ملحوظ.





فى عـام ١٧٢٦ باع منصـبه البـرلمانى ، وقـرر أن يكرس نفسه لكتابة أكثر جدية، وفى عام ١٧٤٨ بعد صـراع مع العمـى والصعـاب المالية نشـر كتـابا من أعظم المؤلفات السياسية تأثيرا فى القرن الثامن عشر هو«روح القوانين» ثم كان له أثر أكبر فيما بعد.

ڤولتير يفر إلى إنجلترا

فرانسوا مارى آرويه (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) الذى كـان يحمل بعد ذلك اسم ڤولتير الذى ولد كأحد عامة الناس فى باريس وتلقى تعلـيمه على يد الجزويت، وتمتع بنجاح أدبى فى فترة مبـكرة من حياته نظراً لكتابة تصوره لمأسـاة «أوديب» وملحمة «الهنرياد» التى تروى أساطير هنرى الرابع ملك فرنسا المتسامـح، ولقد منح ڤولتيـر لذلك معـاشا من الملك لويس الخـامس عشـر، ومن الملكة، ومن دوق أورليـانز، إلا أن ڤـولتيـر اشتهـر كـذلك بقصائده الهجائية المقذعة من كل لون، فقـضى بسبب ذلك ما يقرب من عام فى الباستيل



ولقد أقنع ذلك ڤولتيـر بضرورة الـهرب من البـلاد، فهبط إلـى إنجلترا ٤ مـايو عام ١٧٢٦ ليبدأ فترة سنتين ونصف من النفى الاختيارى.

رسائل عن إنجلترا

لقد كانت الرسائل الفارسية تقدم فقط هجوما غير مباشر، وتلقى الضوء على مؤسسات وأعراف المجتمع الفرنسى، وعاملها الكثير من قرائها الأرستقراطيين على أنها سلسلة من المزاح، وكان مونتسكيو ـ قبل أى شىء آخر ـ «واحدا من هؤلاء»، أما ڤولتير فقد كان على العكس فرداً من عامة الشعب كتب ملاحظاته الخاصة كرحالة فى المنفى، ولقد نشر كتابه «رسائل عن الأمة الإنجليزية» عام ١٧٣٣ ، وظهر فى فرنسا تحت عنوان «الرسائل الفلسفية» فى السنة التالية.



لقد استخدمت النموذج الإنجليزى للهجوم على النظام الفرنسى: الفشل وسوء الاستخدام الفرنسى، ولقد أذهلنى مدى التسامح الدينى، بصفة خاصة فى إنجلترا وليبرالية السياسة فى التجارة الإنجليزية وقوة العلم والفلسفة فى إنجلترا.

وصفت رسائل ڤولتير بأنها أول قنبلة تلقى على النظام القديم، وظهرت طبعات خفية فى فرنسا، وصدر الأمر باعتقال «ڤولتير»، وأحرق الكتاب رسميا، وحرم بيعه تحريما مطلقا.

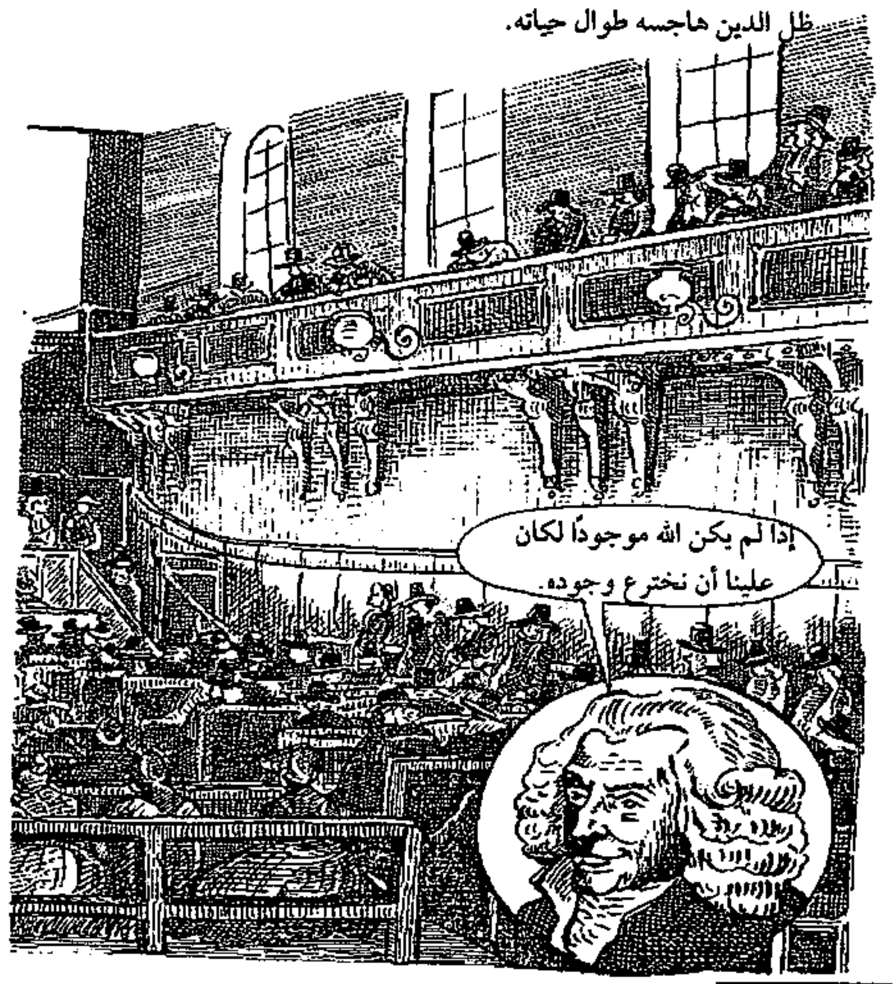
نظرة ڤولتير إلى الدين فى إنجلترا

يبدأ كتاب ڤولتير عن الإنجليز بأربع رسائل عن «الكويكرز»(١) وقد جذبه إليهم بساطتهم وبعدهم عن الدجماطيقية، وتجسيدهم العملى للقيم الروحية والأخلاقية، وعلى الرغم من أن ڤولتير سخر منهم سخريات رقيقة، فمن الواضح أنه تأثر بعمق بواقعة أن إيمان الكويكرز لم يحدده القساوسة.



(١) أو جماعة الأصحاب: فرقة بروتستانتية أسسها فى إنجلترا حوالى عام ١٦٥٢ جورج فوكس Fox احتجاجا على تسلط الدولة على الكنيسة، يعرفون أيضًا بالمرتعشين أو المرتجفين من عبارة فوكس «ارتجفوا لكلمة الله»، أو ربما بسبب اهتزازهم من نشوة الانفعال الصوفى فى أثناء العبادة. (المترجم)

لقد خصص ڤولتير رسالة لكل من: الأنجليكان[١]، والمشيخية[٢]، وفرق دينية أخرى صغيرة، ولقد ظل ڤولتير طوال حياته معارضا لا يكل ولا يمل لتعصب الكنيسة الكاثوليكية، لكن ذلك لا يعنى أنه كان هو نفسه لا يكترث بالدين، بل على العكسُ لقد ظل الدين هاجسه طوال حياته.



(١) الكنيسة الأنجليكانية Anglican : كنيسة إنجلترا الرسمية يرأسها كبير أساقفة كانتربرى، انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية عندما سحب الملك هنرى الثامن اعترافه بسلطة البابا وأعلن نفسه رئيسًا أعلى لكنيسة إنجلترا عام ١٥٣٤ . (المترجم)

(٢) الكنيسة المشيخية Presby Terians : كنيسة بروتستانتية يدير شئونها شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية، وكان كالڤن Calvin أول مَنْ دعا إلى الأخذ بهذا الأسلوب فى إدارة الكنيسة. (المترجم)

حرية الضمير والروح التجارية

كانت إقامة ڤولتير فى إنجلترا تتقطعها فترات قصيرة يعود فيها إلى فرنسا لرعاية مصالحه التجارية؛ لقد كان ڤولتير باستمرار رجل أعمال ثاقب النظر، كما كان مضاربا فى سوق الأوراق المالية، ومن هنا كان فى استطاعته أن يجمع القدر الكافى من المال من مغامراته التجارية، لتأمين استقلاله العقلى، ولتمويل أسلوب حياة رفيعة متأنقة، «التجارة التى أثرت المواطنين الإنجليز، قد ساعدت فى جعلهم أحرارا، وساهمت فى خلق عظمة الأمة ».

اذهب إلى سوق الأوراق المالية فى لندن وهو مكان أشرف من أماكن كثيرة فى البلاط الملكى، وسوف تجد ممثلين من جميع الأمم يجتمعون لتنمية الرخاء البشرى ، فهنا هنا: اليهودى، والمسيحى والمسلم، يتعامل الواحد منهم مع الآخر، كما لو كانوا من ديانة واحدة، والأشخاص الوحيدون الذين يعتبرونهم ملاحدة هم المفلسون...!



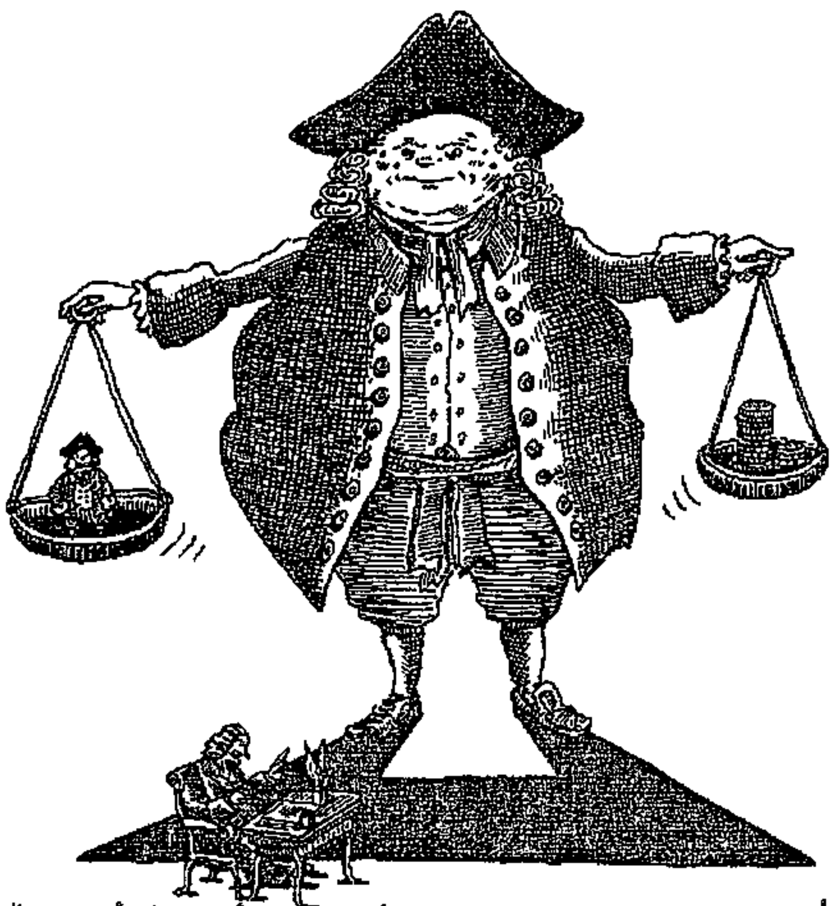
عن البرلمان

«الأمة الإنجليزية هى الأمة الوحيدة على ظهر الأرض التى نجحت فى السيطرة على سلطة الملوك عن طريق مقاومتهم بجهد وراء جهد حتى أقامت فى النهاية هذا النظام الرفيع من الحكومة، الذى يكون فيه الأمير، رغم أن لديه كل السلطة لفعل الخير والصالح العام، فإن يديه مغلولتان عن فعل الشر، وهو نظام أصبحت فيه الطبقة الأرستقراطية عظيمة بلا عجرفة وبلا تابع للسيد الإقطاعى، وفيه يشارك الشعب الحكومة دونما خلط أو اضطراب».

ويسخر ڤولتير من التصرفات المثيرة للضحك فى مجلس العموم، ومن أوجه القصور الأخرى فى الممارسات فى السياسة الإنجليزية، لكنه كذلك يعلن بوضوح إعجابه بالنظام السياسى الإنجليزى وما فيه من ملكية دستورية مقيدة.



وتطورت إنجلترا بالتدريج نحو المساواة أمام القانون، ونظام الضرائب الذى لا يُعفى منه إنسان، (وبعد بضعة عقود كان إعفاء الطبقة الأرستقراطية، وطبقة رجال الدين من الضرائب فضيحة أشعلت نيران الثورة الفرنسية).



لا يُعفى إنسان قط هنا من دفع ضرائب معينة لأنه ـ ببساطة ـ أرستقراطى أو من رجال الدين .. فأنت لن تسمع هنا عن عدالة عليا ومتوسطة وسفلى.

لقد بدأ مسترشبنج منذ فترة ليست بالبعيدة فى الحديث عن مجلس العموم بهذه الكلمات: «ملك الشعب الإنجليزى لابد من أن يصاب.. إلخ»، ولقد أحدث هذا التعبير الغريب عاصفة من الضحك لكنها لم تكن مربكة على الإطلاق، فكرر الكلمة نفسها فى نبرة حاسمة، ولم يعد ثمة أى ضحك.

القديسون الرعاة في عصر التنوير

كان القديسون الرعاة في عصر التنوير في إنجلترا ثلاثة من الإنجليز هم: بيكون، ونيوتن، ولوك، ولقد خصص ڤولتير معظم رسائله الفنية الجادة لهؤلاء الثلاثة. كما أن ديدرو، ودالمبير قاما بإهداء الموسوعة إليه.



أمر توماس جيفرسون (١٧٤٣ ـ ١٨٢٦) في عام ١٧٨٩ أن يوضع في مكتبته صور لهؤلاء الثلاثة.

لقد وضعوا الأساس في علوم الفيزياء والأخلاق لعصر الحداثة، هؤلاء الرجال أعظم ثلاثة عاشوا بلا منازع.

كان مونتسكيو وڤولتير من تلاميذ وأتباع الفلاسفة الإنجليز والرجال العظام في إنجلترا، بدون الإنجليز كان العقل والفلسفة لايزالان في طفولتيهما الكريهة.

فردرش ملكيور ڤون جريم [1].

(١) فردرش ڤون جريم (١٧٢٣ ـ ١٨٠٧): مفكر ألماني وناقد أدبي رحل في عام ١٧٤٨ إلى باريس معلمًا خصوصيا في خدمة دوق أورليانز (١٧٥٥) حيث تطورت علاقاته بديدرو ـ ومدام «بيناى، وروسو» .(المترجم)

أبو الفلسفة التجريبية

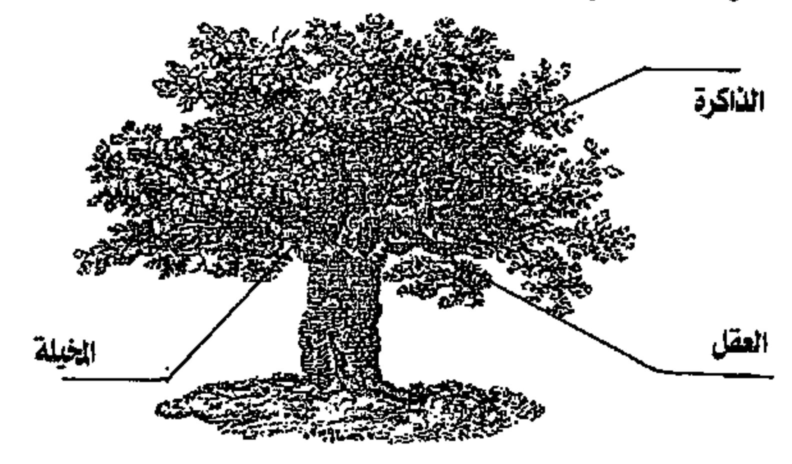
كان فرنسيس بيكون (١٥٦١ ـ ١٦٢٦) هو السلف العظيم لجون.لوك فى التراث التجريبى، وهو فيلسوف وسياسى إنجليزى، اعترف به على نطاق واسع على أنه «أبو الفلسفة التجريبية».



دافعت عن إصلاح عظيم فى المعرفة يقوم على الملاحظة المباشرة، رفضا للعبادة العمياء للسلطة، لصالح عالم التجربة الحسية المباشرة.

كان بيكون يشبه أقسام المعرفة بأفرع الشجرة، والأفرع الرئيسية فى شجرة المعرفة هذه مستمدة من الملكات الرئيسة فى الذهن: الذاكرة، والمخيلة، والعقل.

الذاكرة: مصدر المعرفة التاريخية. المخيلة: مصدر الشعر. العقل: مصدر الفلسفة.



السياسة عند چون لوك

امتد تأثير لوك بحيث جاوز الفلسفة، فكتاباته في السياسة ألهمت أيضًا المصلحين في عصر التنوير من أمثال: ديدرو،وجيفرسون، وآخرين. عاد چون لوك من منفاه في هولندة بمخطوطة كتابه «رسالتان في الحكومة»، وكتاب: «مقال عن الفهم البشرى» وقد نشرا معا عام ١٦٩٠ .



رضا الشعب وموافقته هما الأساس الوحيد لسلطة الحكومة، وليس للحكومات واجب آخر يجاوز ذلك الواجب الذى من أجله أقيمت فى البداية وهو: المحافظة على الحياة، والحرية، والملكية.

ويذهب لوك إلى أن الأمير (أو «أي شخص وارث فرد») عندما يستخدم سلطته بطريقة تعسفية، بدون موافقة الشعب، عندئذ يكون من حق الشعب الدفاع عن نفسه.. ويكون في ذلك تبرير للتمرد[1] لمواجهة الاستخدام التعسفى أو الاستبدادى لسلطة الحاكم.

(١) التبرير يأخذه چون لوك من كلمة التمرد نفسها التى تعنى بالإنجليزية Rebellion وهى تعنى الحرب من جديد، فهى مأخوذة من اللاتينية Bellum بمعنى الحرب والمقطع.. Re من جديد، فكأن الحاكم يعلن الحرب على الناس فيردون عليه بالتمرد أو بالحرب من جديد .(المترجم)

إسحاق نيوتن

الإنجازات العلمية التي قام بها إسحاق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) كانت هائلة، كان الحساب ـ حساب التفاضل والتكامل ـ وسيلة رياضية قوية طورها نيوتن كما طورها جوتفريد فلهلم فون ليبنتز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) ولقد عرف علم الديناميكا الجديد في تحفته الكبرى أو كتابه الرئيسي «الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية»، الذي صدر عام ١٦٨٧ موفقًا بين دراسة كبلر لحركة الكواكب ودراسة جاليليو للحركة الأرضية.

لقد قدمتُ أوصافا رياضية محكمة لنظام الكون ولحركة الكواكب، واقترحت قانونًا كليا عاما للجاذبية، كما ذهبتُ إلى أن الفضاء الذي تسبح فيه الكواكب لا متناه.

وفي عام ١٧٠٤ صدر الكتاب العظيم الثاني لنيوتن وهو كتاب: «البصريات» الذي عرض فيه لنتائجه عن طبيعة الضوء، وينتهي بمجموعة من التخمينات والحدوس والاستفسارات ألهمت البحث العلمي طوال القرن الثامن عشر.



نيوتن للمبتدئين

لقد جذبت أعمال نيوتن جيشًا من المرِّوجين والمبسطين للمعلومات، منهم ڤولتير ليس في الرسائل عام ١٧٣٣ فقط، بل أيضًا في كتابه «أصول فيزياء نيوتن» الذي ظهر عام ١٧٣٨.



وكثير من هذه الروايات الشعبية تصور الكون يعمل بطريقة آلية أكثرمما كان نيوتن نفسه يحب أن يصوره، وذهبوا إلى أن نيوتن يصور الكون المخلوق كله على أنه نسق مرتب ينظم نفسه.

من الواضح أن جمال الصيغة الرياضية عند نيوتن، وقوانين الحركة ـ وما إلى ذلك ـ فى أنها تقدم نظرة أشد بساطة للكون مما أراد نيوتن فى الحقيقة.

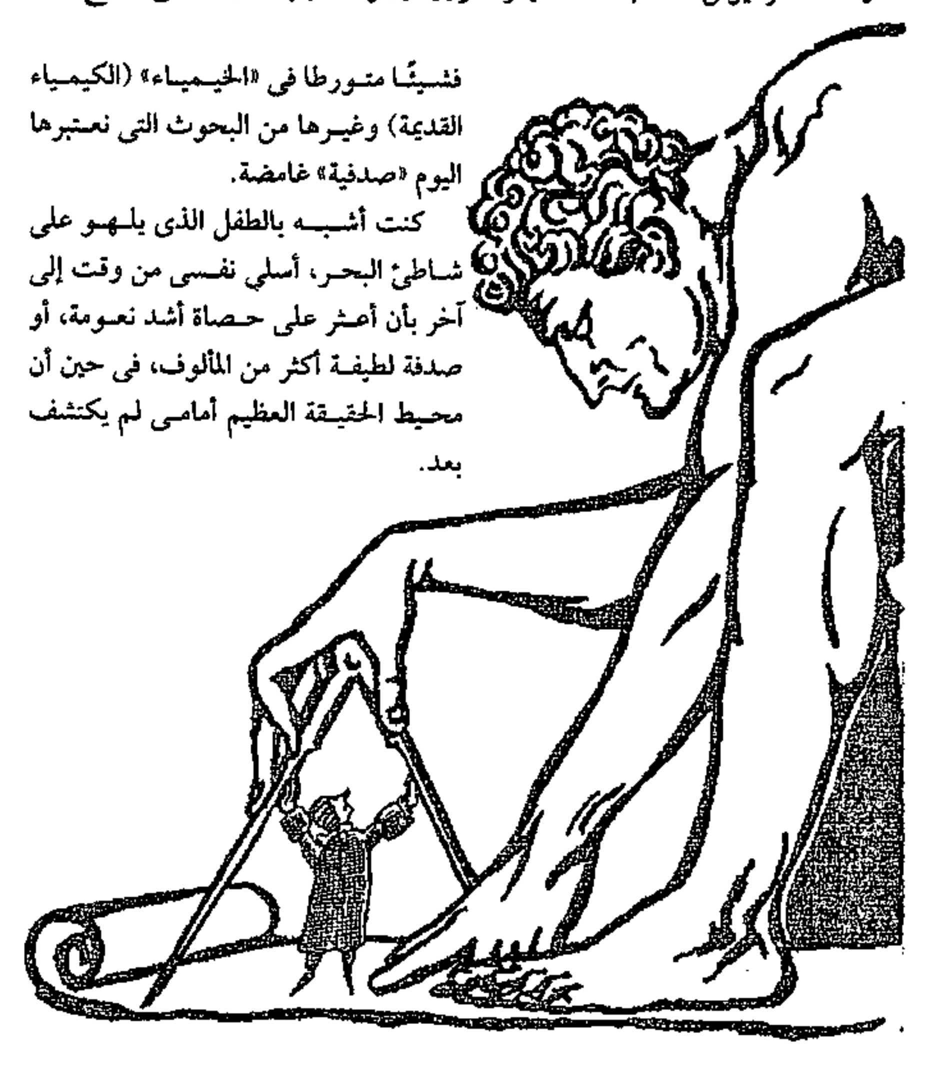
والواقع أن الجاذبية نفسها كانت قوة غامضة.

أما الإنتروبيا Entropy فقد عرَّفها نيوتن بأنها خاصية الأنظمة المغلقة.

(الإنتروبيا هى ميل النسق المغلق إلى النقصان، حتى يفقد كل طاقة، ومن ثم كل عضوية).

ولقد شعر نيوتن نفسه بأنه قد أظهر ضرورة وجود السبب الأول، حتى أصبح شيئًا فشيئًا متورطا فى «الخيمياء» (الكيمياء القديمة) وغيرها من البحوث التى نعتبرها اليوم «صدفية» غامضة.

كنت أشبه بالطفل الذى يلهو على شاطئ البحر، أسلي نفسى من وقت إلى آخر بأن أعثر على حصاة أشد نعومة، أو صدفة لطيفة أكثر من المألوف، فى حين أن محيط الحقيقة العظيم أمامى لم يكتشف بعد.



نيوتن: النموذج

كانت إنجازات نيوتن على درجة كبيرة من التقدم حتى إنها دفعت علم الفيزياء والعلوم الطبيعية خطوات إلى الأمام، لدرجة أن الكُتَّاب فى معظم حقول المعرفة الأخرى حاولوا تعميم هذا المثال واتخذوا من نيوتن نموذجا، فكان مثالاً للعالم الحق.

وبعد وفاة نيوتن بفترة قصيرة قام جى. تى. ديزجليرز[1] بالترويج لآراء نيوتن فى دائرة واسعة، وتنبأ بأوسع تطبيق ممكن لآراء نيوتن على القصيدة وكتب «نسق نيوتن للعالم: أفضل حكومة ممكنة» وكان ڤولتير يأمل أن يأتى يوم تنقل فيه مناهج العلوم الطبيعية لتطبق فى مجال التاريخ.



(١) ديزجيلرز (جون تيوفليس ١٦٨٣ ـ ١٧٤٤): مخترع إنجليزى ومحاضر شعبى فى الميكانيكا والبصريات. (المترجم)

فلاسفة التنوير

مونتسكيو، وڤولتير، وديدرو، وروسو، وبوفون[١] وكونديـاك، وتورجو[٢]، وكوندورسيه، وهولباخ، ومورليه[٣]، وهلفتيوس، وجريم، ورينال[٤].

بدأ الرجال الذين يشكلون «مملكة الأدب» واضعين مثال مونتسكيو وڤولتير أمامهم، بدأوا فى إظهار ثقة جديدة بالنفس مع الاستعداد للقتال.

ففى باريس بمقاهيها ونواديها، وصحفها ومن فيها من باعة الكتب، انبثق نسل جديد هو الفلاسفة.



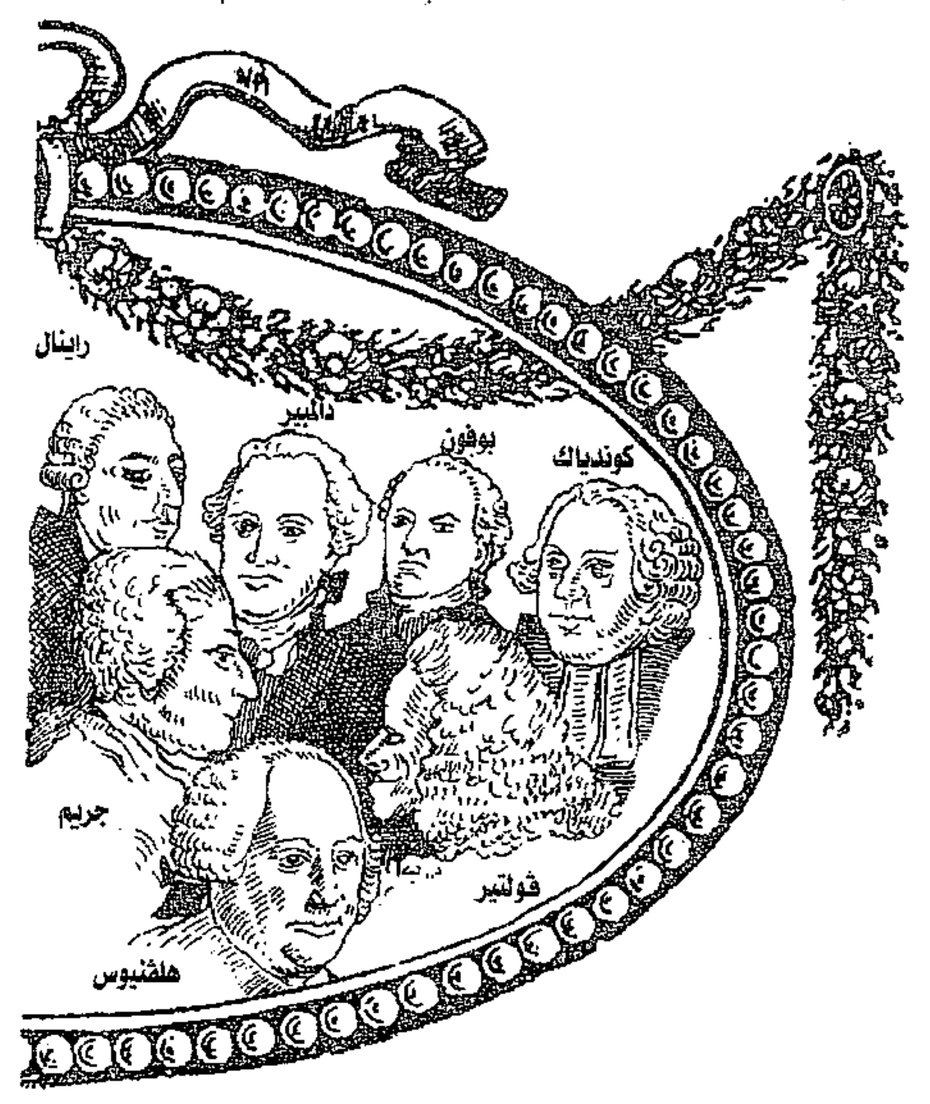
(١) بوفون Buffon (الكونت چورج لويس ١٧٠٧ ـ ١٧٨٨): كاتب وعالم طبيعة فرنسى، أشهر أعماله «التاريخ الطبيعى العام والخاص» وهو يقع فى ستة وثلاثين مجلداً (١٧٤٩ ـ ١٧٨٩)، له نظرات فى الأساليب الأدبية، ذهب فيها إلى أن الأسلوب مرآة عقل المرء. (المترجم)

(٢) تورجو (آن روبير چاك: ١٧٢٧ ـ ١٧٨١): سياسى وعالم اقتصاد فرنسى ووزير المالية (١٧٧٤ ـ ١٧٧٦) فى عهد لويس السادس عشر، يعتبر أحد أبرز زعماء المدرسة الفزيقراطية التى دعت إلى إلغاء القيود المفروضة على الاقتصاد . (المترجم)

(٣)مورليه (أندريه ١٧٢٧ ـ ١٨١٩): عالم اقتصاد وأديب وفيلسوف فرنسى كان رائدا فى حلقة الفلاسفة، وقد اشترك مع ديدرو فى إصدار الموسوعة . (المترجم)

(٤) راينال Raunal (چيوم توماس ـ فرانسوا ١٧١٣ ـ ١٧٩٦): مؤرخ وفيلسوف فرنسى، وكان يعد رائدا بين المفكرين الأحرار فى فرنسا، كتب تاريخ البرلمان الإنجليزي، وتاريخ الأرض الواطئة. (المترجم)

كان فلاسـفة التنوير من المثقفين، والأدباء لكنهم لم يكونوا من الفلاسفـة المحترفين، وبالقطع لـم يكونوا من الأكـاديميين الذين يقـبعون فـى البرج العـاجى، ولقد أحـدث جو المناقشات والمنازعات والأفكار، والنضال والصـراع .. فى باريس أفرز نخبة عصر التنوير أو الصفـوة من المفكرين ، فـها هنا كـان الجناح المكافـح فى عصـر التنوير يتـركـز على: التفكير، والكتابة، والمناظرة، والمنازلة بين بعضهم البعض، وبين العالم.



كـان فلاسـفة التنوير كـهنة وجنود ورجـال الدعاية لروح الـعقل الجـديد، والتسـامح والتقدم، أصدر ڤولتير صيحة نداء تحثهم على الاتحاد.



إلا أن العقل العـبقرى المنظم حـقا للحركـة كان دينس ديدرو (١٧١٣ ـ ١٧٨٤) ابن صانع سكاكين من الريف، الذى جـمع أكثر العـقول تطرفًا فى عصـره لخلق أعظم إنتاج تميز به عصر التنوير وهو: «الموسوعة».



وردَّ أعداء هذا التطرف الجديد بغضب وارتياب: «نرجو فقط أن تقولوا لنا ماذا يعنى فيلسوف التنوير؟» هكذا تساءل الأب مولينيه.



الموسوعة تشرح ماذا يعنى فيلسوف التنوير.



المرأة المستنيرة

فلاسفة عصر التنوير كانوا إخوة، مجموعة متآلفة من الرجال، فقد كانت السيدات مستبعدات من النوادي ومقاهي البيوت الإنجليزية تقريبا (رغم أن الغواني لم يكن بعيدات تماما)، أما في فرنسا فقد كانت أماكن اللقاءات الرئيسية هي الصالونات.



لقد كان مؤسسة تعمل للرعاية، بقدرما تعمل للعواطف الجنسية، في عصر كانت فيه الانفعالات العقلية والجنسية منفصلتين في المجال المنزلي الخاص بالفرد.

كانت الحياة العقلية والاجتماعية فى فرنسا أقل كثيراً من أن تكون شأنا من شئون الذكور، إلا أن التفكير كان لا يزال إلى حد كبير وظيفة الغلمان، لقد أشاد ديدرو بدور النساء كمحاورات (أو مستمعات جيدات) فى تشكيل العادات العقلية لهذا العصر.



كانت الصالونات تعقد فى بيوت فلاسفة التنوير من أمثال البارون هولباخ، وهلفتيوس، أما جميع صالونات باريس الأخرى فقد كانت تديرها نساء من أمثال: مدام دى فند، ومدام جيوفرين، ومدام دى إسبيناس ومدام نيكر، وكان الأمر يتطلب قدرا كبيرا من المهارة والكياسة لإدارة الصالون بنجاح، وتحظى باحترام المثقفين والمؤلفين من أصحاب الأمزجة المتقلبة ، ولقد تجمع جيش الموسوعة الصغير لأول مرة فى صالون مدام جيوفرين.



سيدات مستنيرات

لم يكن يكفى أن تلعب المرأة دور المضيفة صاحبة الدعوة فى أحد الصالونات، فليست هذه هى الطريقة الوحيدة التى تشارك بها فى نشاط وإيجابية فى الاختمار والقلق العقلى فى ذلك الوقت، فقد كان هناك بين السيدات المفكرات الرائدات نساء متميزات.

مدام دى إبيناى (١٧٢٦ ـ١٧٨٣): كانت ضئيلة الحجم، حيوية، هشة المنظر مع أعين براقة، وقد سحرت ڤولتير وديدرو، وظلت لسنوات طويلة عشيقة فردرش مليكور جريم (١٧٢٣ ـ ١٨٠٧)، كما فتنت روسو أيضًا.رغم أنها كانت على وعى تام بحساسيته المرهفة وسرعة غضبه.



كانت مدام «دى إبيناى» مساهمة غزيرة الإنتاج فى صحيفة جريم Grimm «المراسل الأدبى» تمده بالمقالات الأدبية أو أخبار المسرح وعرض الكتب ومراجعتها، ومقالات فى السياسة والاقتصاد والفلسفة، وكذلك آبيات من الشعر الخفيف، وخلال أسفار جريم كان يترك لها مع ديدرو مسئولية الصحيفة، وفى كتابها «مذكرات مدام دى مونتيريه» جمعت معارضات أدبية ناقدة من المحادثات فى حفلات العشاء التى تمثل آراء وأفكار وأحيانا الكلمات العقلية، لفلاسفة التنوير.

كانت المركيزة إميلى دى شاتيليه (١٧٠٦ ـ ١٧٤٩) رفيقة ڤولتير لسنوات طويلة، وقد التقيا عام ١٧٣٣ عندما كان ڤولتير فى التاسعة والثلاثين من عمره وهى فى السابعة والعشرين، وكانت قد تزوجت لمدة ثماني سنوات وأمًا لثلاثة أطفال، وكانت سيدة ناضجة مكتملة مثقفة للغاية.



لم تترجم مدام دي شاتيليه «نيوتن» فقط إلى الفرنسية، كما عملت مع ڤولتير، بل كتبت بطريقة مستقلة تماما مقالات موضوعات علمية.



فى سن الثالثة والأربعين كان لهـا عشيق جديد هو المركيز دى سانت لامبير وكان فى السابعة والعشرين من عمره وقد حملت منه، وعلى الرغم من رعاية ڤولتير لها فقد ماتت بعد الولادة بوقت قصير، وقد حزن عليها ڤولتير حزنا شديدا وقال: «لقد فقدت مَنْ ظلت صديقة لى طيلة خمسة وعشرين عاما. رجل عظيم: عيبه الوحيد أنه كان امرأة!».

القارئ والرقيب

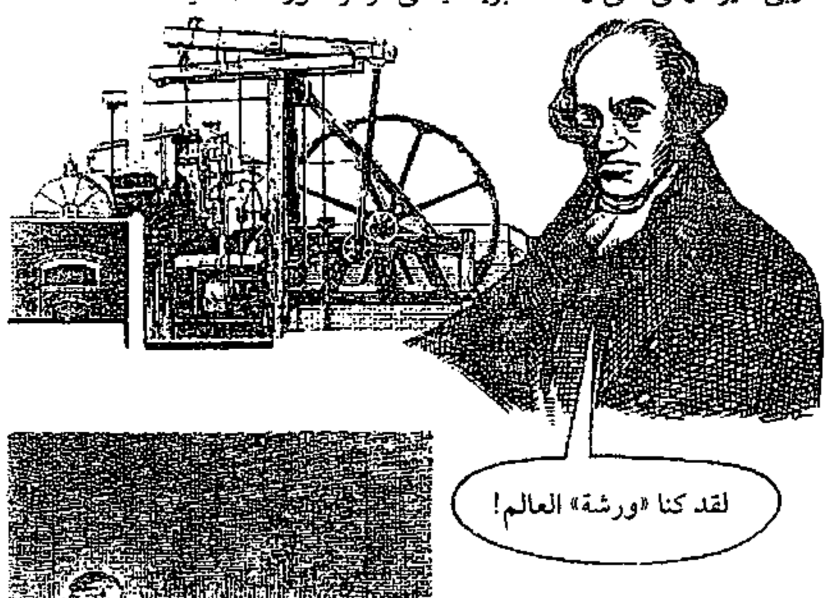
لمنْ كان يكتب فلاسفة التنوير؟ كانوا يكتبون ـ في المقام الأول ـ لزملائهم من الفلاسفة، في شبكة الثقافة العالمية، لكنهم أرادوا كذلك نشر أنوارهم إلى جمهورعريض متنام من القراء.

كانت الرقابة غائبة في إنجلترا وهولنده في حين أنها ظلت تشكل خطرًا على الحياة العقلية في بقية أوروبا، وكان النشر (الذي يقوم به في العادة باعة الكتب) يتطلب تصريحا قانونيا من وزير العدل، وسرعان ما تعلم قضاة فرنسا أن حرق الكتب يروج بيعها؛ لهذا كانوا يفضلون مصادرة الكتب وسجن باعة الكتب مع غرامات قليلة بقدر المستطاع.

(١) رفيق السفينة Galley - Slaver هم العبيد الذين حكم عليهم بالتجديف طوال حياتهم في إحدى السفن. (المترجم)

الصناعة والعلم

الإبداعات العلمية فى تكنولوجيا الصناعة كثيرا ما كان يقوم بها مهندسون ارتبطوا بعصر التنوير فى إسكتلندا من أمثال چيمس واط J. Watt (١٧٣٦ ـ ١٨١٩) الذى ابتكر آلة بخارية فعالة، كما ابتكر وحدة «قوة الحصان» أو «القدرة الحصانية». ولقد بدأ عصر الآلة البخارية عندما تحالفت قوة البخار مع مسابك الحديد فى حقول الفحم فى منطقة «دربى شير» وهى التى وضعت بريطانيا فى مركز الثورة الصناعية.



أدرك القراء المتعلمون أهمية التجربة العلمية ـ ووضع الأفكار موضوع الاختبار عن طريق التجربة ، إلا أن الثقة الزائدة بالعلم أدت حتى بأعظم الحكماء إلى الظن بأن التقدم سرعان ما يؤدى إلى يقين مطلق. لقد كان القرن الثامن عشر من زوايا كثيرة سهل الانخداع بطريقة مرعبة، عصر الأشخاص الخياليين، وأشباه العلماء والدجالين من أمثال فرانز مزمر (١٧٣٤ ـ ١٨١٥) الذى ادعى أنه يستطيع علاج الأمراض بقوة «الجاذبية الجنسية».

الموسوعة

أعظم ما يتميز به عصر التنوير، والأثر الباقى لهذا العصر هو الموسوعة، وقد كان ذلك فى الأصل بتفويض لترجمة ومراجعة «موسوعة إفرايم تشامرز» التى نشرت لأول مرة فى أدنبره عام ١٧٢٧.

وبعد أن أقلع الناشر الأول قام على أمر المشروع بنجاح دينس ديدرو وچان لوروند دالمبير (١٧١٧ ـ ١٧٨٣).



المجلد الأول من « الموسوعة أو من المعجم التحليلى للعلوم والفنون والحرف» ظهر عام ١٧٥١، ولقد استغرق الأمر عشرين سنة لإتمام الموسوعة ، واشتملت فى النهاية على ما يقرب من ٢٧٠٠٠ مادة مدرجة و ٢٥٠٠ صورة محفورة.

احترم اسم دالمبير كثيرا بسبب شهرته كعالم رياضيات، وإنْ كان ديدرو هو باستمرار الذى يعمل معظم العمل كما نجح ديدرو فى أن يجمع حوله مجموعة لامعة من المتعاونين تشمل عددا من فلاسفة التنوير من أمثال: مونتسكيو، وڤولتير، وشارل دى كلوز، وروسو، وصموئيل فورمى، وهولباخ، ومورليه، وأندريه توفيل دى بوردو، وچاك دى ڤوكانسون.



ثم بعد ذلك ساعده بمهارة واقتدار مهتد جديد للقضية، وهو رجل لا يعرف للتعب معنى: «شفاليه دى جاكور» (١٧٠٤ ـ ١٧٩٩) الذى كتب ـ مثل ديدرو ـ مئات من المقالات، وراجع أعمال جيش من الكتاب المأجورين الذين اشتركوا فى المصنَّف.

شجرة المعرفة

أعلن دالمبير فى مقاله الافتتاحى فى الموسوعة أنه يقدم للقراء نظرة شاملة لكل أفرع المعرفة المختلفة، وعلاقة الواحد منها بالآخر على شكل شجرة أنساب، ولقد أسسه بناء على الرسم التخطيطى الذى قدمه بيكون، وقد تبنته «موسوعة تشامرز»[1].



لكن لا مجال لأى شىء لا يصل إلى العقل عن طريق الحواس، وهبطت النظريات التقليدية للكنيسة إلى فرع صغيرجدا من شجرة المعرفة.

(١) أو القاموس العالمى للفنون والعلوم الذى نشر فى أدنبره عام ١٧٢٣. (المترجم)

من هم عظماء التاريخ؟

اقتبس دالمبير من قاضي القضاة فرنسيس بيكون على عهدته ،وقدَّم قائمة جديدة للتاريخ ظهر فيها أن «عظماء التاريخ» لم يكونوا الملوك أو الغزاة الفاتحين، بل العلماء والفلاسفة.

وقدَّم دالمبير قائمة قصيرة عن أعظم عظماء التاريخ: بيكون، وديكارت، ونيوتن، ولوك،لكنه قدَّم أيضًا قائمة مختصرة للقادة من العلماء والفلاسفة تشمل: جاليليو، وهارفي، وهيوجنز بسكال، وفونتينل، وبوفون، وكونديالك، وڤولتير، ومونتسكيو، وروسو.



«المقال التمهيدى زاخر بالاستعارات البطولية العنيفة: كسر الأغلال، وتمزيق النقاب، وتدمير النظريات، واقتحام الحصون ... وعلى فلاسفة التنوير القيام بدور بطولى، وسواء أكانوا مضطهدين أم محتقرين فهم يقاتلون بمفردهم، ويناضلون من أجل الأجيال المقبلة الذين سوف يعترفون لهم بالفضل الذى حرمهم منه معاصروهم». روبرت دارنتون، الفلاسفة يقلِّمون شجرة المعرفة.

أهمية الحرف أو التجارة

إحدى الطرق التى مارست الموسوعة بسببها تأثيراً عظيماً تشير إليها الكلمة الأخيرة فى عنوانها وهى «الحرف Métiers »، لقد شرعت الموسوعة فى إنصف ليس الفنون والعلوم فقط، بل أيضاً الحرف ومهارات التجار والصناع.

لقد كان دريدو نفسه ـ وهو ابن صانع السكاكين ـ مسئولا مسئولية كبيرة عن مكونات هذا المشروع ، لقد سافر وعبر فرنسا ليلتقى بالصناع والحرفيين وليتعلم طرقهم.



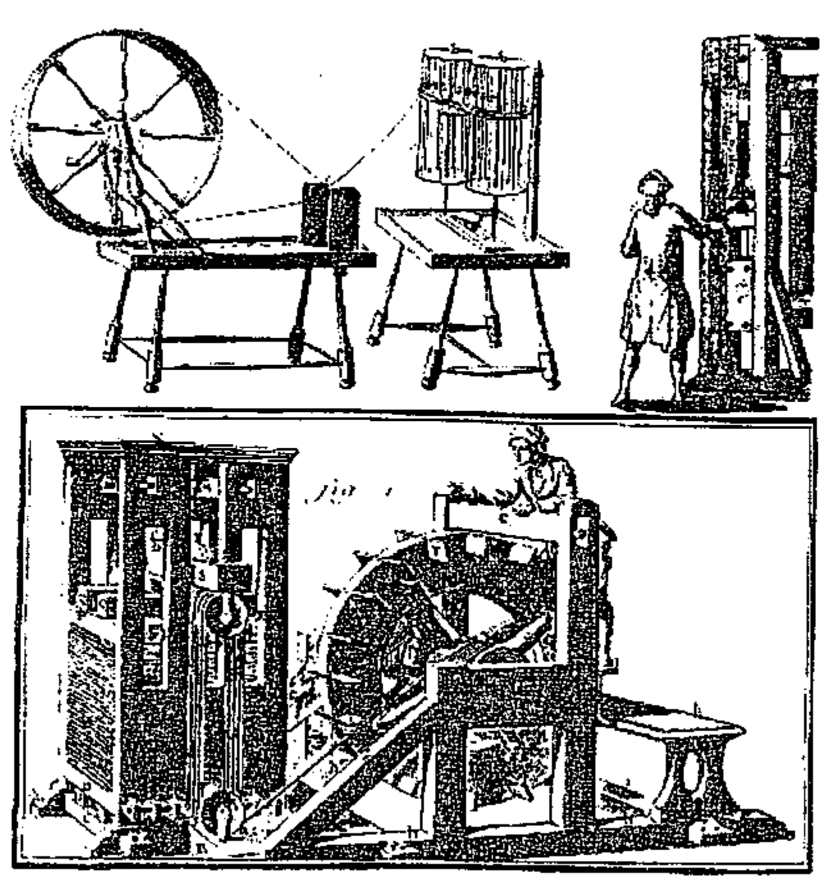
فى مقاله عن علم الرنوك Heraldry[(١)] وهو يرتبط بوساوس الأرستقراطية لاحظ الرجل النبيل شيفاليه دى جاكورت أنه لا توجد نشرة واحدة عن فن صناعة القمصان، والجوارب، والأحذية، والخبز، وكانت الموسوعة هى العمل الأول والفريد الذى وصف هذه الفنون والصناعات المفيدة للإنسان، فى حيت إن كتاب التجارة زاخر بالكتب عن العلم العابث السخيف عن شعارات النبالة.

(١) علم يتعلق بفن الشعارات وتصميمها لاسيما شعارات النسب. (المترجم)

الميتافيزيقا والآلات

التفرقة التقليدية بين الفنون «الحرة» والفنون «الآلية » كان لهـا تأثير سيئ فى انحطاط الناس النافعين جـدا والمحترمين جـدا، وكما لاحظ ديدرو «كم كـان حكما غريبًا .. لقد طلبنا من هؤلاء الناس أن ينخرطوا فى أعمال نافعة ثم ازدرينا الناس النافعين».

لقد قارن ديدرو بين أعمال الآلة المعقدة بالنظام الميتافيزيقى المعقد، ولفت الأنظار إلى الطريقة التى تترسب بها المعرفة والتجارب البشرية فى الآلات العملية.



فى أى نظام فيزيقى أو ميتافيزيقى نجد نجاحا وذكاء، واتساقا وتميزا أكثر من استخلاص الذهب، أو صناعة الجوارب، أو هياكل صانعى الضفائر، أو صانعى الشاش، وتجار الأقمشة، أو عمال الحرير...؟

ذروة النجاح

مجلدات الموسوعة باهظة الثمن خلبت ألباب المجتمع الراقى، وابتكر ڤولتير قصصا ليوضح تأثير الموسوعة على الطبقة الأرستقراطية، بل على الملك نفسه.

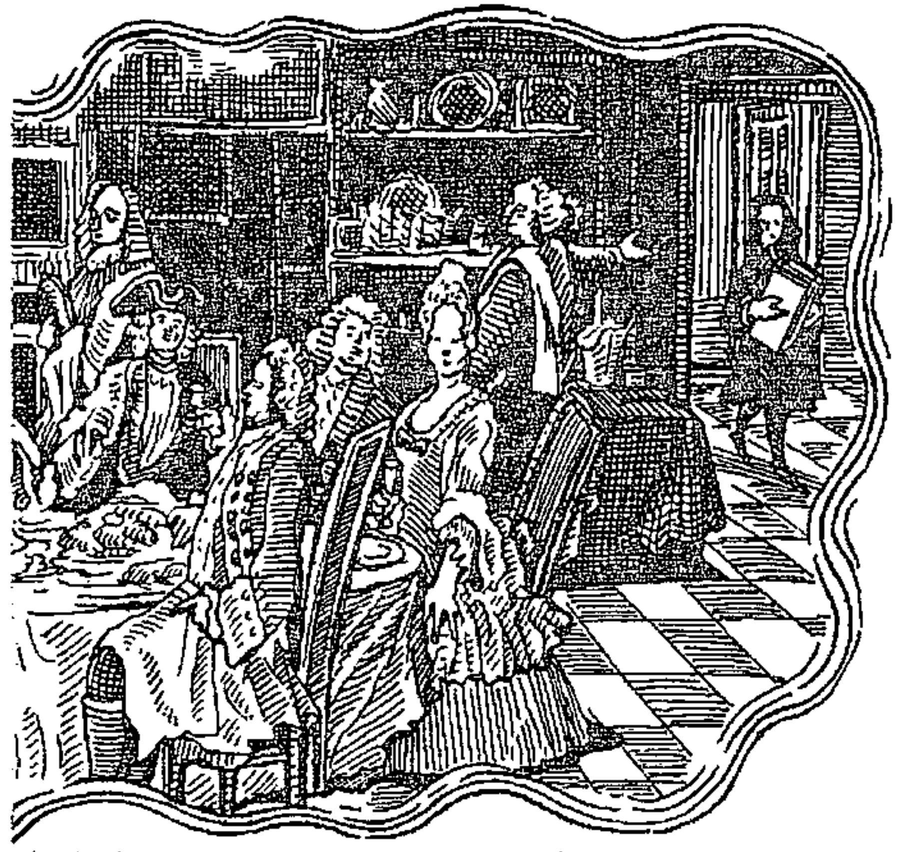
«فى إحدى الليالى كان الملك يتناول طعام العشاء فى تريانون Trianon [١] مع بعض أصدقائه المقربين، وتطرق الحديث إلى رياضة الصيد وإلى البارود..».



«لا يهم فسرعان ما نعالج المسألة، وفى لمحة كان خدم المنزل يهرولون لإحضار الموسوعة...»

(١) قصر صغير من قصور فرساى.(المترجم)

وفي الموسوعة تحت مواد: بارود، وروج (أحمر شفاه)، وغزل الحرير، كان هناك كل ما تحتاجه، وسرعان ما انقض الجميع على مجلدات الموسوعة، وما هي إلا لحظات حتى وجدوا كل ما يريدون، ووجد أولئك الذين يفكرون في القانون ما يريدونه تماما من الناحية القانونية، أما الملك فقد أراد أن يعرف شيئًا عن الامتيازات الملكية. وبينما الكل مشغول على هذا النحو في تقليب الصفحات، صاح الكونت دى س.. بصوت مرتفع سمعه الجميع...



« سيدى: أنت حقا محظوظ بأن يكون لديك في منطقتك رجال قادرون على السيطرة على جميع الفنون وتناول المعرفة للأجيال القادمة، فكل شيء هنا من الطريقة التي يصنع بها الدبوس، إلى الطريقة التي تحشو بها وتطلق المدافع، كل شيء من أضأل الأشياء إلى ما لا نهاية، إلى أكبر الأشياء إلى ما لا نهاية».

الهجوم على فلاسفة التنوير

لم يكن الترحيب بالموسوعة عاما وكليا، فقد واجهت مجموعة الفلاسفة التى تعمل بالموسوعة معارضة شرسة، فقد كتب المعارضون من أمثال: إيلى فريرون، وشارل باليسو، ويعقوب نيقولا مورو، مقالات وسخريات لاذعة، واتهم اليسوعيون الموسوعيين بالبيلاجية Pelagianism [1]. فى عام١٧٥٢ بعد نشر أول مجلدين من الموسوعة كانوا يقنعون الملك بمصادرتها.



وفى عام ١٧٥٧ أبلغ الصحفى «فريرو» الرقيب الأول ماليشيرب عن ديدرو.

.. وكان رأس الفتنة لمجموعة كبيرة؛ فقد كان رئيس جماعة متعددة تزداد وتتكاثر كل يوم عن طريق الدسائس والمؤامرات.

«وفى عام ١٧٦٠ كتب باليسو كوميديا عنوانها «فلاسفة التنوير»، هجا فيها روسو بكلام ساخر ووصفه بالمتوحش الذى يشبه القرد، كما سخر من هلفتيوس سخرية مرة وكذلك من ديدرو، ودوكلوس».

.. عصابة من المنافقين الذين لا مبادئ لهم، استغلوا مجموعة من السيدات العاطلات الساذجات للترويج لمؤامرات ومخططات طنانة ومرعبة.

(١) مذهب الراهب الإنجليزى Pelagius الذى ينكر توارث الخطيئة الأصلية .(المترجم)

أزمة عام ١٧٥٨

ترابطت ثلة فلاسفة التنوير بطريقة ملحوظة أكثر عندما خضعت بصورة حقيقية للتهديد.

وفى عام ١٧٥٨ أسهم دالمبير بكتابة مقال من جنيف ذهب فيه إلى أن دولة المدنية ـ هذه المزدهرة ـ تحسن صنعا لو أنها رفعت الحظر عن المسرح داخل جدرانها، ويبدو أنه ذهب أبعد من ذلك وتساءل عن استقامة لاهوتيى المدنية، مما نتج عنه إعجاب متزايد. أما برلمان باريس فقدحرّم الموسوعة.



«العاصفة التى هبت حول كتاب هلڤتيوس «عن الروح» عام ١٧٥٨، والتحريم الذى صدر ضد موسوعة ديدرو فى العام التالى، أدى إلى تلاحم فلاسفة التنوير فى حزب، أكثر من صيحات ڤولتير الهستيرية ودعوته إلى الاتحاد. فالنقاد الذين حاولوا تدمير الحركة لم يفعلوا شيئًا سوى تقويتها ». بطرس جاى.

ماليشرب أو مسيو جيوم

كانت الموسوعة محظوظة إلى أقصى حد فى هذه اللحظة من الأزمة التى تهددت المشروع كله؛ ذلك أن أحد أصدقاء الموسوعيين عينه والده ـ المستشار الجديد لفرنسا ـ فى منصب الرقيب، واستمر كرتيان جيوم لامونون دى ماليشرب (١٧٢١ ـ ١٧٩٤) فترة طويلة فى منصب متميز، كرجل دولة ليبرالى، وكرجل شجاع مستنير.



وقدَّم ماليشرب فى مناسبات كثيرة الحماية لـ «ديدرو» ودالمبير من وراء الستار . وفى عام ١٧٥٢ صدر أمر ملكى بحظر أول مجلدين فى الموسوعة، كما صدر أمر باحتجاز كل المواد واللوحات التى لم تنشر، ودعا ماليشرب ديدرو إلى إخفاء المخطوطات الموجودة بحوزته فى مكان أمين .. وآمن مكان فى رأيه هو منزل ماليشرب نفسه.

الملك: ما له وما عليه

عندما جرد الملك برلمان باريس من جميع سلطاته القانونية فى عام ١٧٧١ وعين بدلا منه «مجلسه الأعلى» خطر فى بال ماليشرب إصدار «بيان احتجاج» يدعو فيه «مجلس الأمة» إلى الانعقاد. وفى السنوات الأخيرة «المنظام القديم» أصبح «مسيو جيوم» من أكثر الناس المحبوبين فى فرنسا؛ نظرا لدوره الرئيسى فى تشجيع الإصلاح.



وحتى وهو رئيس لإدارة القصر الملكى ظل يرتدى ملابس رثة فى تحد متعمد لإتيكيت قصر فرساى، فقد كان شغوفًا للغاية بالتوفير والاقتصاد والإصلاح ليتناسب مع رأى البلاط فى تلك الأيام؛ شعر بأنه مضطر للاستقالة.

مغامرات مسيو جيوم

كان الإبعاد المنتظم من الوظيفة (كعقاب لاستقلال ذهنه) قد أمد ماليشرب بالوقت للانغماس فى رسالته الحقيقية: دراسة علم النبات.



وفى عزلته فى قصره أقام أوسع حديقة علمية فى فرنسا وأصدر أربعين مجلدا عن الأعشاب (مذكرات نباتية).

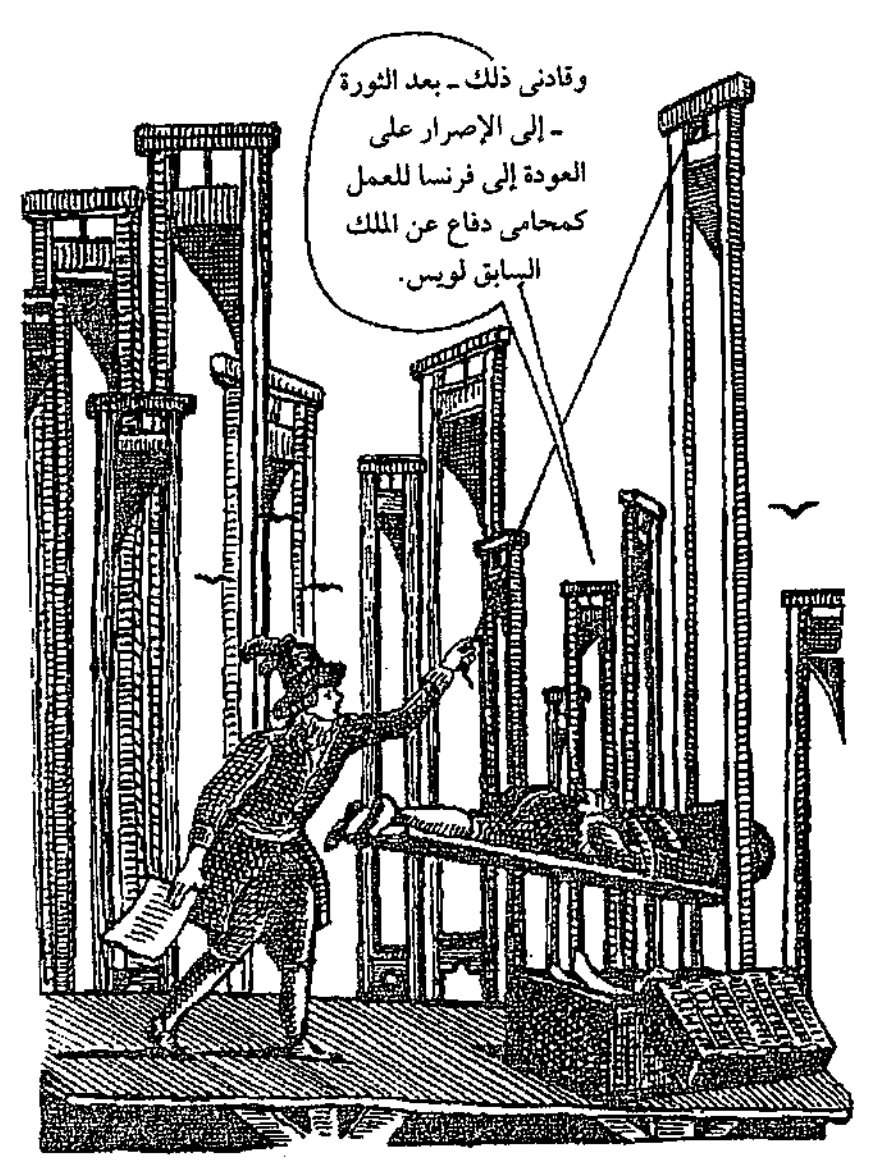


وفى عام ١٧٧١ عثر ليشرب على جثة زوجته، فى الغابة قرب المنزل؛ فقد قتلت نفسها ببندقية.

---

(١) كارل لينيوس (١٧٠٧ ـ ١٧٧٨): عالم نبات سويدى يعتبر مؤسس علم النبات الحديث. قسَّم النباتات إلى شعب، وطبق ذلك على الحيوان أيضًا .(المترجم)

كان ليشرب يعتقد ـ مسايرا فى ذلك المبادئ السياسية لعصر التنوير ـ أن كل إنسان ـ حتى الملك ـ ينبغى أن يخضع للقانون وأن يتمتع بمزاياه.



وكانت النتيجة أن انتهت حياة ليشرب على المقصلة.

دينس ديدرو

ميول ديدرو النبيلة كثيرا ما أزعجت والده، إلا أن صورته أمام نفسه ككاتب ومثقف، تشكلت ـ بالقطع ـ على احترام قيم والده: صانع السكاكين، ولقد فهم ديدرو أن الكتابة صنعة أو حرفة تتطلب العمل الشاق والنظام.



ظل ديدرو باستمرار على علاقة ممتازة بأخته العانس التي شوهت وجهها واضطرت إلى تركيب أنف صناعي بقية حياتها، وكان لديدرو شقيقة أخرى أصبحت بإرادتها راهبة، ثم أصيبت بعد ذلك بالجنون وماتت في الثامنة والعشرين من عمرها. أما شقيقه ديديه فقد كان في البداية قسيسا ثم أصبح بعد ذلك قمسا في كاتدرائية.

ماذا يطلق هؤلاء المسيحيون على الكمال الإنجيلي؟ لا شيء سوى الفن الميت للطبيعة الخانقة، وكان يمكن لديديه أن يكون صديقا جيدا، وأخا جيدا، لولا أن المسيح أمره أن يسحق كل هذه التفاهات تحت قدميه.

التاريخ السرى لروحه

فى عام ١٧٤٢ تزوج ديدرو ـ سرا وضد رغبة والده ـ من فتاة فقيرة لكنها جميلة، هي أنطوانيت شامبيون، ولم يبلغ سن الرشد سوى ابن وحيد لهما هو أنجيليك. مدام ديدرو كان أصدقاؤها يعتبرونها امرأة صعبة المرأس إلا أن ديدرو ظل مخلصا لها على طريقته.

وفى عام ١٧٥٥ التقى بالحب العظيم فى حياته صوفى ڤولاند.



وكان يقدر فيها صراحتها ووضوحها فى التعبير عن نفسها، واستمرت علاقتهما ربع قرن، ولم يفصلهما سوى موتها عن ثمان وستين عاما.

« الروح هى الكهف الذى تسكنه جميع الحيوانات النافعة والضارة، والرجل الشرير يفتح باب الكهف ويسمح للحيوانات الضارة وحدها بالخروج، أما الرجل صاحب الإرادة الطيبة فهو الذى يفعل العكس». ديدرو



ديدرو والأصدقاء

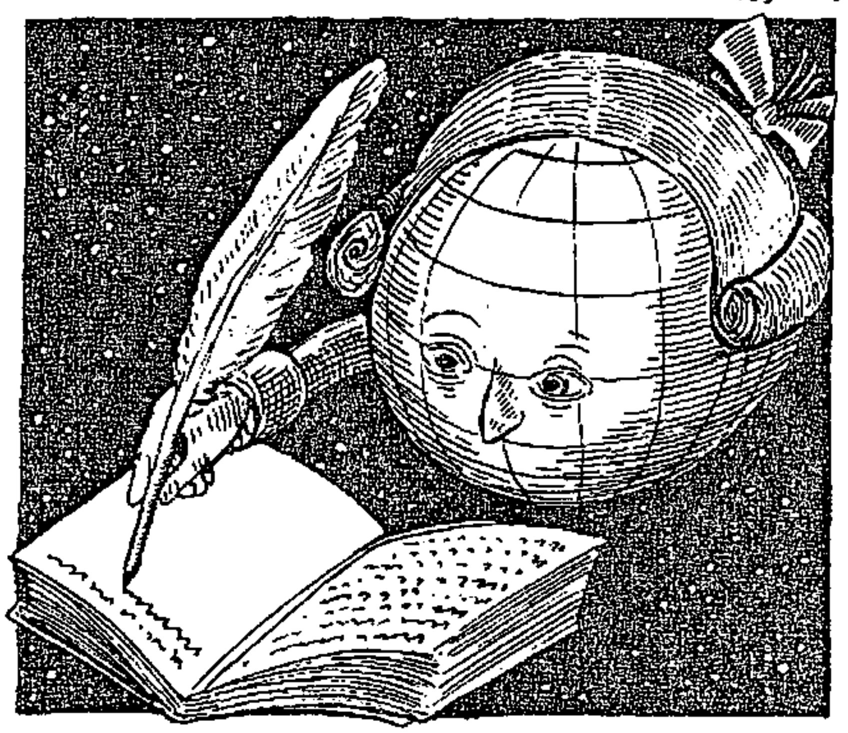
«ولدتُ كثير الكلام لا أميل إلى الكتمان بقدر المستطاع ». لقد كان ديدرو متحمسا لدرجة نسيان نفسه، يمكن معرفته بطريقة مذهلة ، ويريد أن يكون مهتما بأى شىء على نحو مطلق، ويمكن أن تكون له نظرية عن ذلك. كان ديدرو متحمسا ومتحدثا لا يرتوى، يذرع الحجرة جيئة وذهابًا بلا توقف، ويخلع شعره المستعار، إذا اشتعل حماسا لموضوع ما..

لمصلحتى ولمصلحة أصدقائى كنتُ أقرأ ، وكنت أكتب وأتأمل، وأصغى، وأنظر، وأشعر، وفى غيابهم كان إخلاصى يرد كل شىء إليهم، وكنت أحلم، بلا توقف، بسعادتهم ... ومن أجلهم كنتُ أركز فى استخدام كل حواسى، وكل ملكات ذهنى وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله كان هناك فى خيالى وحديثى تحسن ضئيل فى الأمور مع قدر من المبالغة. وكانوا أحيانا يلوموننى على ذلك: الأوغاد ناكرو الجميل!



ما المقصود بالموسوعة؟

كان هناك مقال ممتاز عنوانه «الموسوعة» يعلم فيه ديدرو المشتركين أن الكلمة يونانية الأصل: وهي تعني «الارتباط المتبادل لكل معرفة»، أقرب إلى الطلسم أو التعويذة نجدها حاضرة في الكثير من كتابات ديدرو. «والحق أن الهدف من الموسوعة هو تجميع كل المعارف المتناثرة فوق ظهر الأرض؛ لكي نقدم خيوطها العامة وبنيتها للناس الذين نعيش معهم، وننقل ذلك إلى أولئك الذين سيأتون من بعدنا، حتى يكون عمل القرون الماضية مفيدا للقرون اللاحقة».



إن محاولة إعداد «موسوعة» هو عمل ينتمي إلى العصر الفلسفي حسب، العمل الذي يذهب إلى أن كل شيء لابد من فحصه ومناقشته وبحثه بغير استثناء، وبغض النظر عن مشاعر أي إنسان، ولابد لنا من تحطيم الحواجز التي لم يضعها العقل أبدًا، وأن نعيد إلى الفنون والعلوم الحرية التي هي ثمينة ونفيسة بالنسبة إليها.

لقد دفع القرن الماضي العلوم والفنون على قدر ما تستطيع أن تذهب.. ومهمة القرن الحالي هي تجميع هذه الإنجازات في جسد واحد ونقله إلى الأجيال القادمة.

الفن في عصر التنوير

اللوحات الأخلاقية لوليم هوجارت (١٦٩٧ ـ ١٧٦٤)[١] تقارن بقصص ريتشاردسون وفيلدنج من حيث ثراء معلوماتها، ولقد كانت السخرية المرئية الشعبية تراثا واصله توماس رولاندسون (١٧٥٦ ـ ١٨٢٧)[٢]، وجيمس جيلراي (١٧٥٧ ـ ١٨١٥)[٣].



(١) وليم هوجارت (١٦٩٧ ـ ١٧٦٤) : رسام إنجليزى تغلب على كثير من أعماله روح النقد الاجتماعي اللاذع، من أشهر لوحاته : «زواج على الموضة» في ست لوحات. (المترجم)

(٢) توماس رولاندسون (١٧٥٦ ـ ١٨٢٧) : رسام كاريكاتير إنجليزى استقر فى لندن لرسم لوحات وصور الأشخاص عام ١٧٧٧ رسم سلسلة من اللوحات بعنوان: «رحلات دكتور ستناكس». (المترجم)

(٣) جيمس جيلراي (١٧٥٧ ـ ١٨١٥): رسام كاريكاتير إنجليزى، وقد اشتهر بصفة خاصة بسبب لوحاته السياسية التي يسخر في كثير منها من الأسرة المالكة. (المترجم)

وتوماس جينزبورو (١٧٢٧ ـ ١٧٨٨)[١] ويشوع رينولدز (١٧٢٣ ـ ١٧٩٢)[٢] الذى رسم صوراً للأثرياء من رعاة الفنون الذين كانت اهتماماتهم العملية توضحها لوحات الحصان التى رسمها چورج ستبس (١٧٢٤ ـ ١٨٠٦)[٣] واللوحات العلمية والصناعية التى رسمها چوزيف رايت أوف ديربى (١٧٣٤ ـ ١٧٩٧)[٤].

أما الفن فى إيطاليا فهو يعكس أمجاد الماضى فى عصر النهضة وعصر الباروك فى تحف فنية طوبوغرافية لـ : أنطونيو كاناليتو (١٦٩٧ ـ ١٧٦٨)[٥] وجيام باتستا تيابولو (١٦٩٦ ـ ١٧٧٠)[٦] تصور الأطلال القوطية وكذلك السجون التى تخيلها جيوفانى باتستا بيرانزى (١٧٢٠ ـ ١٧٧٨)[٧] التى تكشف عن جانب الخيال المظلم فى عصر التنوير.

---

(١) توماس جينز بورو (١٧٢٧ ـ ١٧٨٨) : رسام إنجليزى يعتبر أحد أعظم الرسامين البريطانيين فى القرن الثامن عشر، من أشهر لوحاته «حديث فى حديقة» عام ١٧٤٦ و«السيد والسيدة آندروز» ١٧٥٠ و«عربة الحصاد» عام ١٧٦٧. (المترجم)

(٢) السير يشوع رينولدز (١٧٢٣ ـ ١٧٩٢): رسام إنجليزى يعتبر عند بعض النقاد أعظم الرسامين الإنجليز فى كل العصور من أشهر لوحاته «سن البراءة» و «نيللى أوبريان». (المترجم)

(٣) چورج ستبس (١٧٢٤ ـ ١٨٠٦): رسام إنجليزى نشر «تشريح الحصان» عام ١٧٦٦ الذى استخرج منه نقوشا على ألواح كثيرة، لاسيما لوحاته الدقيقة عن الخيل. «المترجم»

(٤) جوزيف رايت أوف ديربى (١٧٣٤ ـ ١٧٩٧): رسام إنجليزى مشهور بلوحات عن «ضوء الشموع» و«بجوار المدفأة». (المترجم)

(٥) أنطونيو كاناليتو (١٦٩٧ ـ ١٧٦٨): رسام إيطالى من مواليد البندقية عُنى بتصوير المدن ومظاهر الحياة فيها وبخاصة فى البندقية وإنجلترا، من أشهر لوحاته «القناة العظيمة» و«إيتون وكنيستها». (المترجم)

(٦) تيابولو، جيوڤانى ، باتستا (١٦٩٦ ـ ١٧٧٠): رسام إيطالى أشهر لوحاته الجصّية الضخمة التى زين بها عددا من القصور والكنائس ، فى أعماله أصالة متميزة من آثاره «أنطونيو وكليوبترا» (المترجم)

(٧) بيرانزى، جيوڤانى باتستا (١٧٢٠ ـ ١٧٧٨): مهندس ورسام إيطالى اشتهر بتصوير المواقع الرومانية الكلاسيكية والمعاصرة وقد أسهمت رسومه المعمارية الكلاسيكية فى نمو الحركة الكلاسيكية الجديدة فى القرن الثامن عشر.(المترجم)

(٨) واتو، چان أنطوان (١٦٨٤ ـ ١٧٢١) : رسام فرنسى، عدّه بعض النقاد مؤسس المدرسة الفرنسية فى الرسم، عُنى بتصوير الوجوه والمناظر الطبيعية، من أشهر أعماله «الكوميديون الإيطاليون» و«طعام الفطور فى الهواء الطلق» و«اللامبالى» . (المترجم)

الأرستقراطية الفرنسية الرائعة وما فيها من إفراط وإسراف روّج لها رسامو الركوك[1] من أمثال : أنطوان واتو (١٦٨٤ ـ ١٧٢١) وفرانسوا بوشيه (١٧٠٣ ـ ١٧٧٠)[2] . ولقد كتب ديدرو عن الرسامين الجدد الذين كانوا يعرضون فنهم في صالونات باريس، وكان فنه في النقد يمزج بين الأحكام الأخلاقية (كان يعتقد أن بوشيه كان غير أخلاقي) والأحكام الجمالية، ولقد كان يعجبه من بين الفنانين جان سيمون شاردان (١٦٩٩ ـ ١٧٧٩) [3]وجان بابتست جروز (١٧٢٥ ـ ١٨٠٥)[4] وجان أونورو فراجونا . (١٧٣٢ ـ ١٨٠٦) [5] الذى تطلع إلى رؤية أخلاقية جديدة يمكن أن تتعرف على الناس والأحداث في موازاة مع نظراته لأشكال الدراما الجديدة.

وكان مصطلح علم الجمال أو الإستاطيقا قد صاغه المفكر الألماني أ. ج. بومجارتن (١٧١٤ ـ ١٧٦٢) تلميذ الفيلسوف كريستال ڤولف (١٦٧ ـ ١٧٥٤) وقد نشر بومجارتن كتابه عن الإستاطيقا عام ١٧٥٠. أما علم الآثار وفن التاريخ فقد أسسها يوحنا يواخيم ڤنكلمان (١٧١٧ ـ ١٧٦٨) الذى شرع مع الرسام الألماني أنطون روفائيل مينجز (١٧٢٨ ـ ١٧٧٨) في إحداث أسلوب ثورى لمذهب الكلاسيكية الجديدة في روما حوالى عام ١٧٥٠. ولقد أثرت كتابات الإيرل شافتسبرى (١٦٧١ ـ ١٧١٣) تلميذ لوك في المناقشات حول التذوق، كما أثرت في بحث للمفكر إدموند بيرك (١٧٢٩ ـ ١٧٩٧) عنوانه «بحث فلسفى في أصل أفكارنا عن الجليل والجميل » (١٧٥٦) ولقد عرض إيمانويل كانط (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) تحليلا للجليل والجميل في كتابه «نقد ملكة الحكم» عام ١٧٩٠.



(١) الركوك Rococo : أسلوب في الفن والعمارة نشأ في باريس في مطلع القرن الثامن عشر، وراج في فرنسا وأوروبا الوسطى خلال النصف الثاني منه وذلك بعد انقضاء عصر الباروك: يتميز بالمبالغة في الزخرفة والإكثار من استخدام المرايا وأشكال «القواقع والصدف». ولفظ «الركوك» مشتق من كلمتين فرنسيتين هما Rocaille ومعناها الزخرفة و Coquille ومعناها الصدفة أو القوقعة . (المترجم)

(٢) فرانسوا بوشيه (١٧٠٣ ـ ١٧٧٠): رسام فرنسي يعتبر أحد أشهر الرسامين الفرنسيين وأغزرهم إنتاجا، شملته مدام بومبادور ـ وكان أستاذها في الرسم ـ برعايتها، اشتهر بتصويره الموضوعات الدينية والميثولوجية والرمزية والريفية، من أروعها النطور عام ١٧٣٩ . (المترجم)

(٣) جان بابتست سيمون شاردان (١٦٩٩ ـ ١٧٧٩): رسام فرنسي عرف بلوحاته التي تصور الحياة المنزلية الهادئة وموضوعات الطبيعة الصامتة من أشهر لوحاته «سمك الورنك» عام ١٧٢٧ . (المترجم)

(٤) جان بابتست جروز (١٧٢٥ ـ ١٨٠٥): رسام فرنسي لوحاته ذات موضوعات عاطفية أو أخلاقية في المحل الأول. من أشهر أعماله «المخطوبة القروية» عام ١٧٦١ و«اللعنة الأبوية» عام ١٧٦٥ و«الإبريق المكسور» عام ١٧٧٣ وهي كلها محفوظة في متحف اللوفر في باريس. (المترجم)

(٥) فراجونار، جان أدنوريه (١٧٣٢ ـ ١٨٠٦): رسام فرنسي يعتبر أحد أبرز رسامي الطبيعة في تاريخ الفن كله. تتميز لوحاته بالجلاء والرشاقة من أشهرها: «المغتسلات» و«درس الموسيقى» و«جزيرة الحب» و«الأرجوحة» . (المترجم)

چان چاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨)

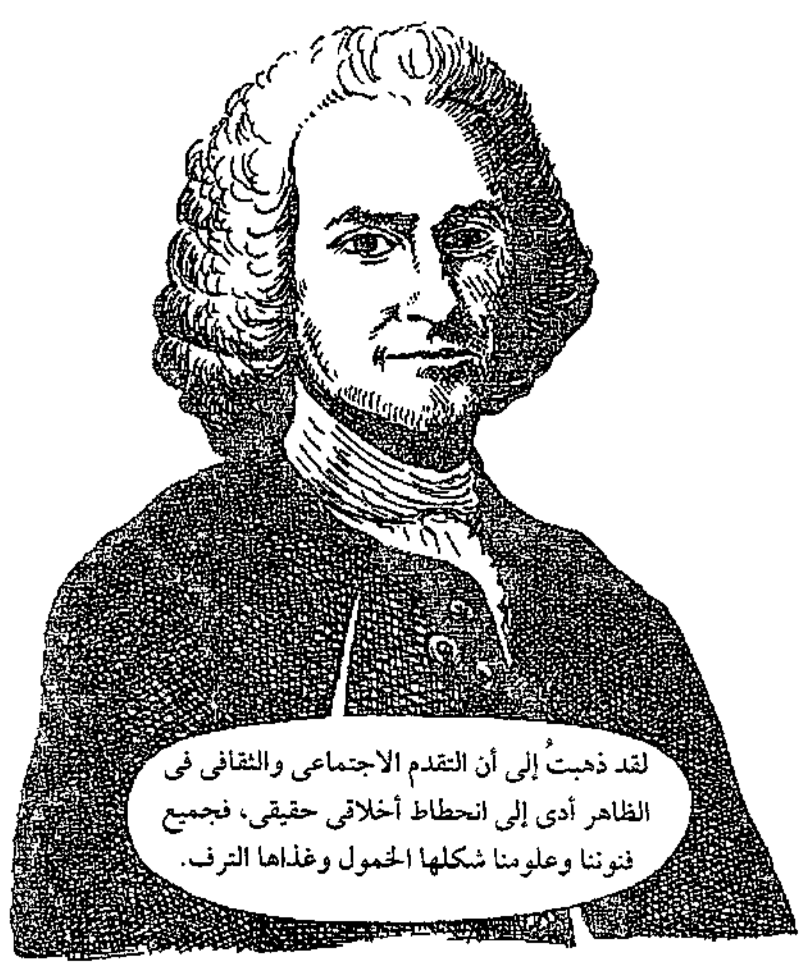
ولد روسو فى مدينة جنيڤ وهى جمهورية (دولة المدنية) بروتستانتية كالڤينية فى سويسرا يحيط بها عدد كبير من الدوقيات الكاثوليكية والإمارات والممالك. وتوفيت والدته بعد ولادته بوقت قصير. وقد تلقى تعليما رسيما، فى سن الخامسة عشرة أخذ إلى منزل بارونة سويسرية كاثوليكية هى مدام دى ڤارن التى كانت تأمل فى تحويله إلى الكاثوليكية وإكمال تعليمه.



أما بالنسبة إلى الموسوعة فقد كتب روسو فيها مقالاً عن «الاقتصاد السياسى» ومعظم المقالات فى موضوعات موسيقية، كما تمّ قبول روسو فى الحلقات الثقافية المهذبة فى باريس ـ ومن فلاسفة التنوير ـ على أنه واحد من جماعتهم.

تحديات روسو

بأول بحث مهم له «مقال عن الفنون والعلوم» عام ١٧٤٩ تحدى روسو خاصية أساسية فى عصر التنوير، ولخّص موضوعا سوف يواصل تطويره فى جميع كتبه المتأخرة.



وكان بحث روسو المهم التالى هو مقال فى أصل التفاوت عام ١٧٥٥، رسم كذلك صورة للتاريخ البشرى على أنه تجل للفساد المتدرج والانحطاط المتوالى. غير أن التنطع والترف والتعليم ليست مسئولة إلا عن التفاوت واللامساواة، فقام روسو بتعقب جذور التفاوت فى الملكية الخاصة وما ينتجه من حقد وحسد.

مقال عن أصل التفاوت

«وهكذا ينتشر التفاوت الطبيعي نفسه بالتدريج مع تفاوت الاختلاط على وجه غير محسوس، ويتطور الاختلاف بين البشر تبعا لاختلاف ظروفهم ويصبح أكثر دواما ومحسوسا أكثر في نتائجه، ويبدأ في التأثير ـ بالنسبة نفسها ـ في جميع الأفراد.

لقد أصبح الناس يهتمون الآن بالظهور بما ليسوا عليه حقيقة، فما تكونه وما تبدو عليه أصبحا الآن شيئين مختلفين أتم الاختلاف، وينبع من هذا التمييز فخامة وقحة متعجرفة، والغش والاحتيال، مع العديد من الرذائل التي تسير في أعقابها. ومن ناحية أخرى فإن الموجودات الحرة المستقلة كما كان البشر، وعلى نحو ما هم الآن، ونتيجة للحاجات الجديدة، خضعوا ـ إنْ صحَّ التعبير ـ للطبيعة كلها، كما خضع الواحد منهم للآخر بصفة خاصة، وأصبح كل واحد منهم، إلى حد ما، عبدا حتى وإنْ أصبح سيدا للآخرين: ولو كانوا أغنياء فهم بحاجة إلى خدمات الآخرين، ولو كانوا فقراء فهم في حاجة إلى مساعدة الآخرين، وحتى الحاجة البسيطة لا تمكنهم من العمل بدون بعضهم البعض. وباختصار ظهرت العداوة والتنافس من ناحية والاهتمامات المتضاربة من ناحية أخرى، مع الرغبة السرية في الحالتين في الربح على حساب الآخرين وجميع هذه الشرور كانت النتائج الأولى للملكية الخاصة، وما يرتبط بها من نمو للتفاوت وعدم المساواة.

قبل اختراع العلامات والرموز التي تمثل الأغنياء كانت الثروة لا تعتمد على شيء قدر اعتمادها على الأرض وقطيع الماشية، فتلك هي الحيازة الوحيدة التي يستطيع البشر امتلاكها: وما لبث الأثرياء من جانبهم أن بدأوا في تذوق لذة إصدار الأوامر، حتى ازدروا الآخرين جميعا، وعرف الأغنياء أنهم تأسسوا على أسماء زائفة محفوفة بالمخاطر، حتى إذا ما أخذ الآخرون منهم عنوة ما ربحوه هم أنفسهم بالقوة، فلن يكون لديهم مبرر للشكوى..».



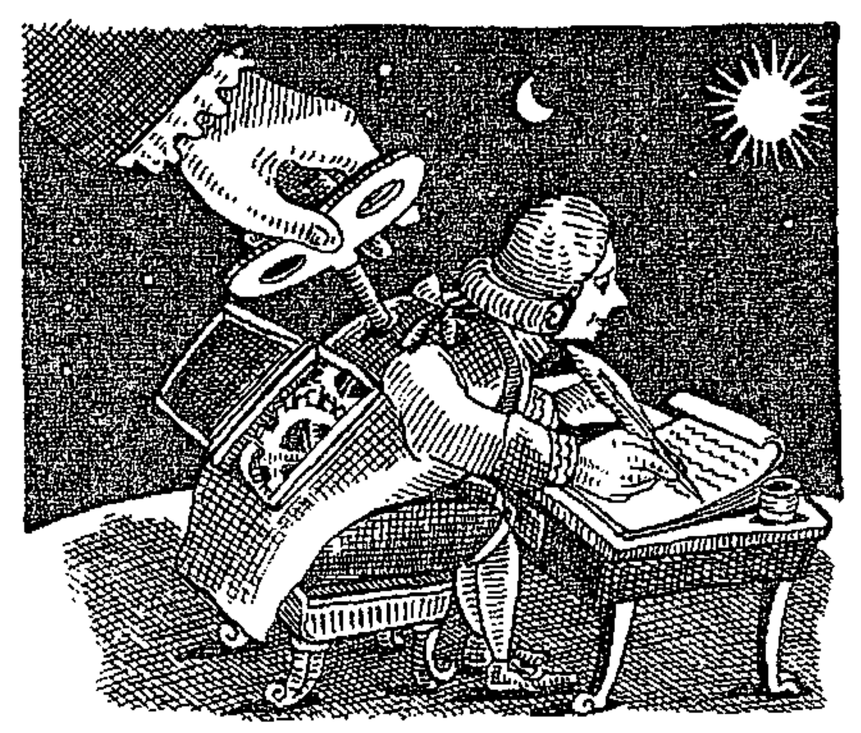
ڤولتير فى مواجهة روسو

أرسل «روسو» نسخة من هذا الكتاب إلى ڤولتير الذى اعترف بتسلُّمه فى رسالة.

يظهرنا التاريخ فى رأى روسو على أن التقدم قد زاد من فساد الناس، لكنه يوافق على أن الوقت قد حان ليكون سبب هذا الفساد هو نفسه «يحتاج أن يمنع تحوله إلى ما هو أسوأ.. فالحال أشبه بترك السكين فى الجرح خشية أن تموت الضحية لو جذبناها منها..».

الطبيعة والتاريخ الطبيعى

كان المفكرون فى كل مكان ـ إبان النصف الأول من القرن الثامن عشر ـ لا يزالون يحاولون هضم مضامين حسابات نيوتن، فقد وصلت التأملات حول طبيعة الإنسان إلى ذروتها فى نموذج «الإنسان الآلة» أو بالأحرى الحيوان الآلى. فديدرو الذى كان يفهم الطب فهما جيداً والذى سحرته التطورات الجديدة فى حياة العلوم ـ انجذب لتأمل مضامينها لفهمنا للجنس البشرى. لقد سحرته فكرة أن كل شىء فى الكون مترابط، وقد أدى به ذلك إلى حشد من التشابكات والنظرات والافتراضات بعيدة النظر.



سألت العالم الطبيعى عما إذا كان الكون أو المجموعة العامة من كل ذرات التفكير والشعور شكل كلا واحداً أو لا: فلو أجاب أنها لا تشكل كلا واحدا فإنه يهدم وجود الله بكلمة واحدة عن طريق إدخال الاضطراب والفوضى فى الكون، وهو بذلك سوف يدمر أساس الفلسفة عن طريق تحطيم السلسلة التى تربط بين جميع الموجودات.

ديدرو: «أفكار حول تأويل الطبيعة».

الطبيعة بوصفها نسقًا: لينيوس

الدكتور السويدى وعالم الطبيعة «كارل لينيوس» (١٧٠٧ ـ ١٧٧٨) ميَّز تمييزا تاما بين الموجودات الحية وغير الحية . وساعد فى تأسيس «علوم الحياة» مثل «علم النبات» و«علم الحيوان» لمجالات منفصلة من البحث.



نظام التسمية الثنائية الذى تصنَّف الكائنات الحية بواسطته وتعطى لها أسماء (لكل جنس أو اسم العائلة ونوع أو اسم الفرد) ونحن مدينون بهذا التصنيف إلى لينيوس Linnaeus فقد رأى أن الطبيعة عبارة عن كل منسجم، نسق متوازن ومترابط خلقه الله. وتجول تلامذته فى أنحاء العالم على سفن تجارية، أو مع مستكشفين من أمثال «كابتن كوك»..

الطبيعة بوصفها تاريخا: بوفون

آراء لينيوس تحداها چورج لويس ليكرك كونت دى بوفون (١٧٠٧ ـ ١٧٨٨) الذى بدأ عام ١٧٤٨ بنشر ٣٦ مجلدًا من كتابه «التاريخ الطبيعى» إبان حياته، وقد أكملها بثمانية مجلدات (١٧٨٨ ـ ١٨٠٤) بعد وفاته، وقد غطى الكتاب جميع الموضوعات فى الطبيعة من الإنسان والطيور إلى القشريات، والأسماك، والمعادن، وقد كتب بلغة دقيقة ومحكمة.



واستخدم دليلا من الحفريات وتجارب فزيقية للبرهنة على أن العالم والحياة نفسها أبعد فى القدم بأكثر مما يعتقد اللاهوتيون. وعنوان كتابه «التاريخ الطبيعى» يلفت النظر إلى إيمانه بأن العالم فى حالته الراهنة ليس فى الحالة نفسها التى كان الله قد خلقه عليها. ولقد أدانت كلية اللاهوت، فى السوربون، هذا الكتاب.

فضيحة المذهب المادى

ارتبط بعض فلاسفة التنوير ارتباطا وثيقا بالموسوعة وطوروا نظرة إلى العالم: مادية، حتمية، إلحادية.



يمكن أن نتعقب أى معرفة عائدين إلى الإحساسات أو الانطباعات التى تلقيناها من العالم الخارجى، وليس التطور الفردى سوى نتيجة لتراكم هذه الانطباعات . وبدت الأفكار اللاهوتية التقليدية مثل «النفس» «افتراضات غير ضرورية».

لامترى وهلفتيوس

المادى الفاضح المتطرف فى عصر التنوير هو الطبيب جوليا أوفروى دى لامترى (١٧٠٩ ـ ١٧٥١) الذى زعم كتابه «الإنسان الآلة» أنه من الممكن تفسير جميع الملكات البشرية: العقلية والروحية وكذلك المادية الفزيقية عن طريق تنظيم المادة، ومن ثم لم تعد هناك حاجة لأى نوع من النفس.



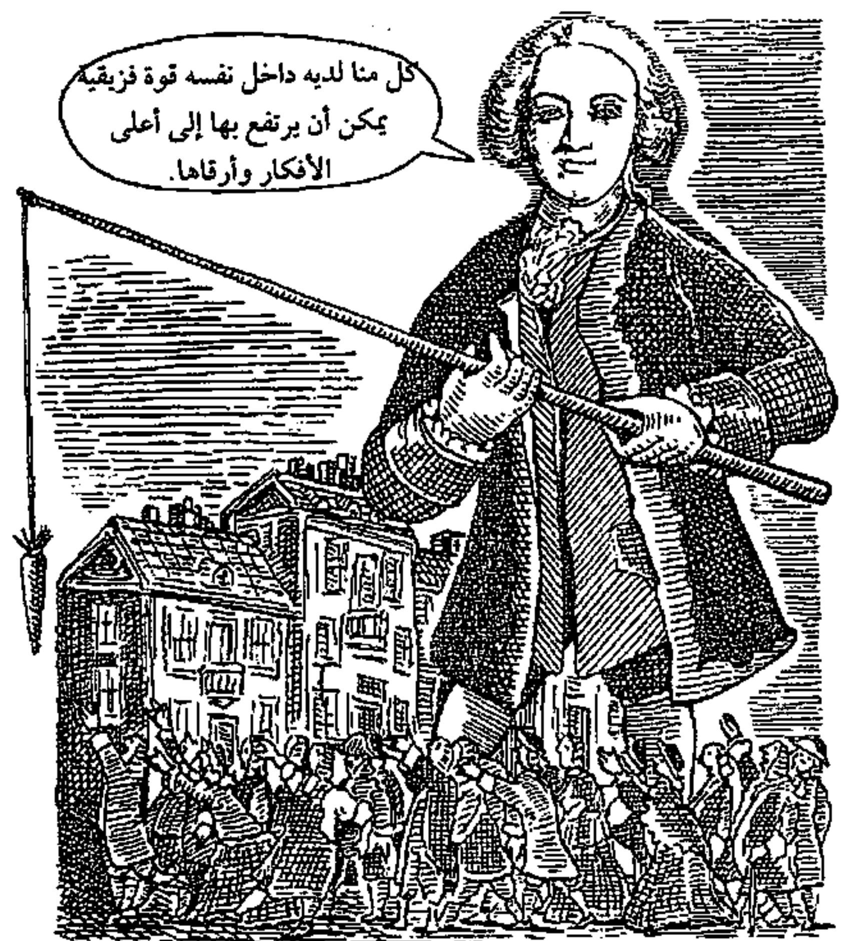
وما هو فضيحة أكثر بالنسبة لمعاصريه ـ بمن فيهم ديدرو وهولباخ ـ كان النتيجة التى انتهى إليها دى لامترى من أنه لا توجد معايير أخلاقية مطلقة وأن الإنسان تحكمه باستمرار دوافع مادية. واضطر إلى الهرب أولاً من باريس، ثم بعد ذلك من هولندا، واستقر فى النهاية فى بروسيا تلبية لدعوة الملك فردريك الأكبر.

فى يوليـو ١٧٥٨ صـديق ديدرو الفيلسـوف صـاحب التـفكيـر الحـر كلود أندريان هلفـتـيـوس (١٧١٥ ـ ١٧٧١) نشـر بحثـا عن الروح أثار فضـائح عنيفـة. وكانت مـادية هلفـتيوس من النوع السلوكى امتدادا لأفكار لـوك وكونديـاك، مفسرا كل المعرفـة البشرية والسلوك على أنها ثمـرة التربية والتعليم من خـلال التجربة الحسيـة والاجتماعـيـة، ولقد رفض هلفـتيـوس أن يفكر فى العوامل الفسـيولوجية، لكنه مع ذلك تحدى الفـهم الجبرى للأخلاق.



المذهب المادى وتحسين الموجودات البشرية

اعتقد هلفتيوس أن جميع البشر يولدون متساوين أساسا فى ملكاتهم، أما الخلافات الفعلية بين الناس فهى ترجع إما إلى اختلافات فى قوة عواطفهم وانفعالاتهم، أو إلى أحداث تربيتهم.



وصل كتاب «عن الروح» إلى الذروة فى رؤيته لتحسين أحوال الموجودات البشرية؛ إذ يستطيع المشرِّع الحكيم عن طريق إعداد مكافآت للفضيلة المدنية وإثارة العواطف والانفعالات، وبالتالى التغلب على القصور الذاتى للعقل، ولقد وجد ذلك صدى عند خطباء الثورة الفرنسية.

هولباخ

البارون دى هولباخ (١٧٢٣ ـ ١٧٨٩) عالم ألمانى استقر فى باريس[1] حيث كتب أكثرمن ٤٠٠ مقالة أساسا عن الكيمياء وعلم المناجم، كتبها للموسوعة بصفة خاصة. وكان«هولباخ» «مضيفًا كريمًا» كانت حفلات العشاء عنده «مأدبة» للقادة الراديكاليين فى باريس،وكان الزوار من خارج فرنسا على مائدته من أمثال: لورنس شتيرن، وهوراس ولبول ، وآدم سميث من بريتن. وسيزار بونزانا، ومارشيز دا بيكاريا، المصلح القانونى العظيم من ميلان، و بنيامين فرانكلين من أمريكا. وعندما كان يعمل بالسفارة البريطانية فى باريس كان الفيلسوف التجريبى ديفيد هيوم كثيراً ما يتناول طعام العشاء على مائدة هولباخ.

(١) جاء «هولباخ» من ألمانيا إلى العاصمة الفرنسية منذ نعومة أظفاره على رأس ثروة هائلة، وجعل من داره ملتقى لكتاب العصر، وقد بلغ من بذخ حفلات العشاء أن أطلق الأب جاليانى على هولباخ لقب «سفرجى الفلسفة الأول!». (المترجم)

مصنع المفكرين الأحرار

بعد رحلة قام بها هولباخ إلى إنجلترا عام ١٧٥٦ (حيث قضى بضعة أيام فى صحبة الممثل ديفيد جاريك، وأيضًا فى صحبة صديق من أيام الدراسة، وهو المتطرف والإباحى چون ويلكز) قرر هولباخ أنه قد آن الأوان للقيام بحملة أشد جرأة على الأفكار اللاهوتية المتوارثة.



وأصبح كتاب هولباخ نفسه «نسق الطبيعة» عام١٧٧٠ نصا ماديا سيئ السمعة أخذ فيه بوجهة نظر اختزالية تماما. فالإنسان موجود طبيعى خالص، والإنسان الطبيعى هو إنسان يعمل تحت ضغط الأسباب التى تتكشف لنا عن طريق حواسنا، وأما الإنسان الأخلاقى فهو إنسان يعمل من خلال أسباب فزيقية لا تنكشف لنا على نحو مباشر.

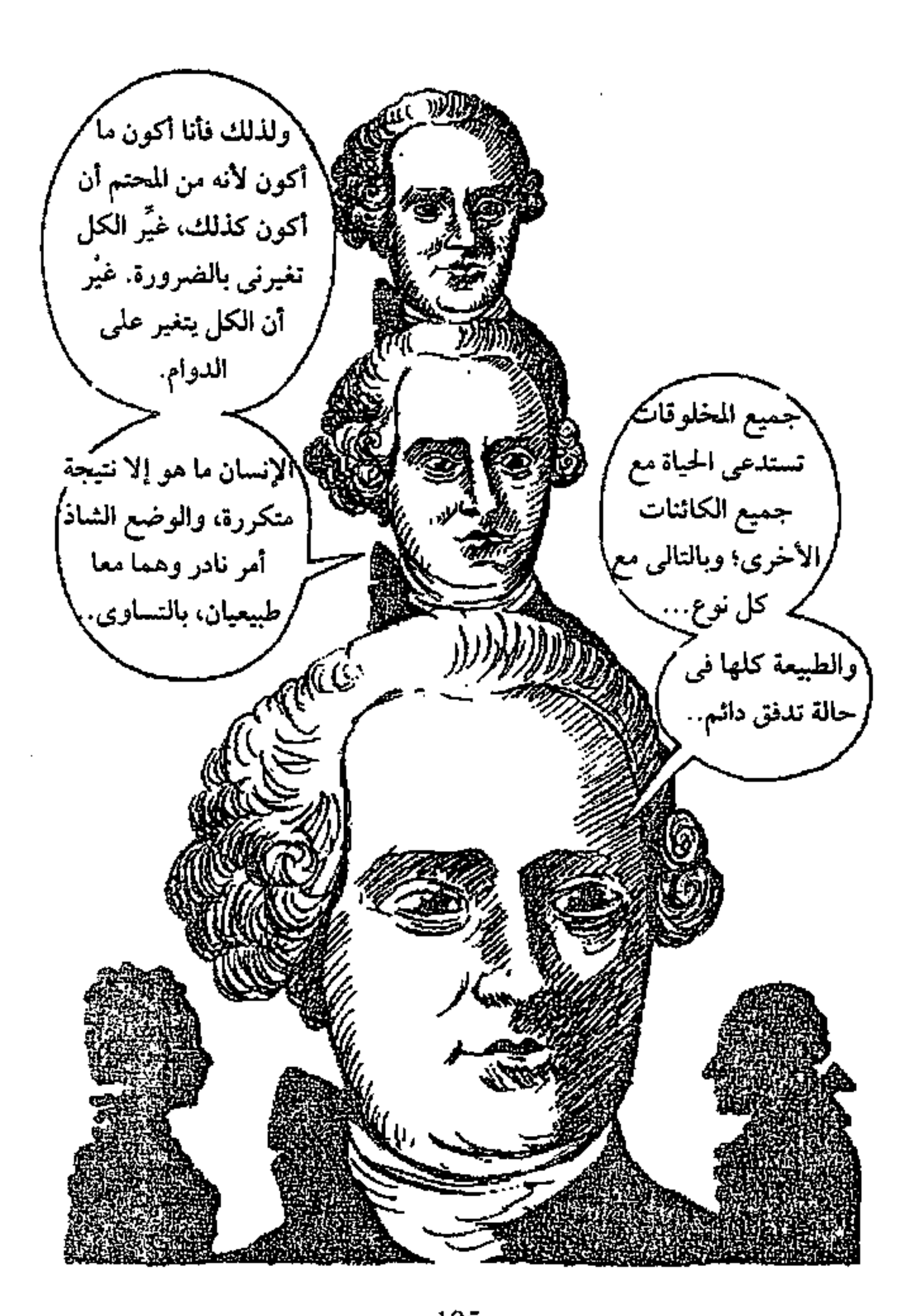
حلم دالمبير

وجهة نظر هولباخ عن النوع البشرى تشبه وجهة النظر التى كشف عنها ديدرو بصورة دقيقة ومتشابكة وهى التى كتبها فى «حلم دالمبير » عام ١٧٦٩، لكنه لم ينشرها أبدًا. ولقد كان ديدرو بوصفه كاتبا شابا مناضلا، قد قضى ثلاث سنوات فى حياته يترجم معجما مهما عن الإنجليزية، ولقد دعم افتتانه بالمجال كله خلال عقود العمل فى الموسوعة.



أكد ديدرو عن طريق تلخيص الأفكار فى صورة حوار وحلم، على طابعها الافتراضى، وتعتمد البرهنة عليها على مستقبل المكتشفات العلمية.

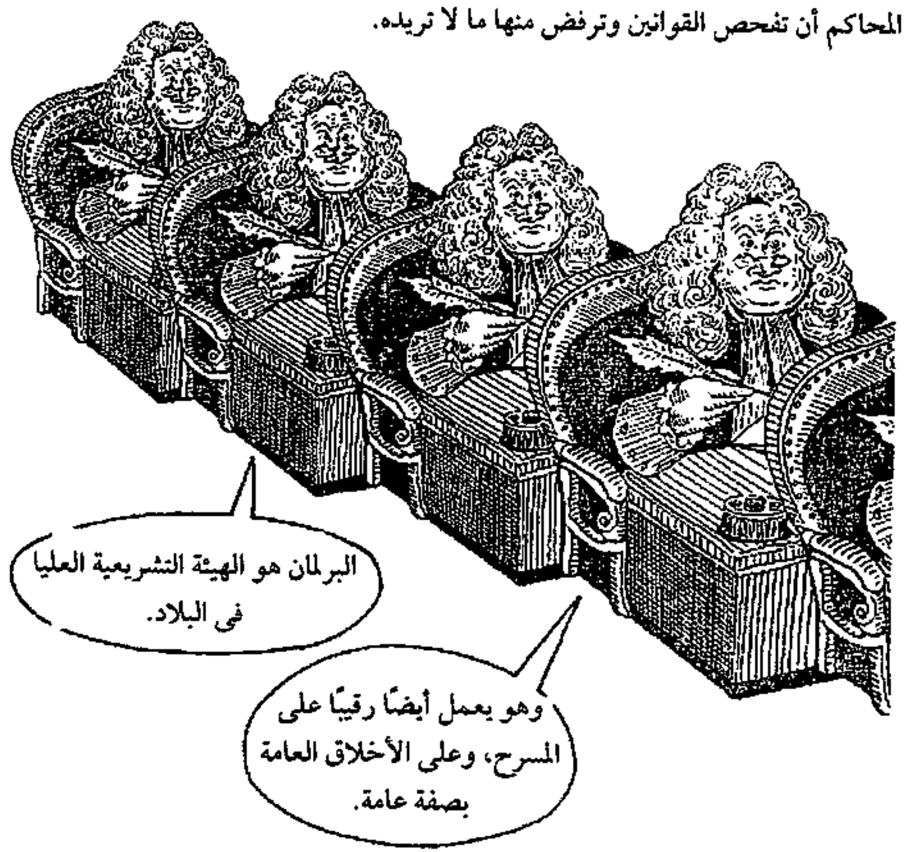
صديقان: مدموزيل دى إسبيناس وبوردو اهتما بعلاج دالمبير من هلوسته.




ثم بعد ذلك تتحدثون عن الأفراد يأيها الفلاسفة التعساء!
.. ليس هناك مثل هذا الشيء كلا، كلا ليس هناك شيء كهذا.
ما المقصود بالموجود؟ مجموع عدد معين من الميول...
هل يمكن أن أكون شيئًا أكثر من ميل؟
لقد توقف!
نعم، ولقد كتب بحثا مسهبا جميلا رغم أنه حاليا بحث نظرى، فإننى أعتقد أنه كلما تقدمت معرفة الإنسان تحقق من ذلك أكثر..

البرلمانات الفرنسية

انقسمت فرنسا، في القرن الثاني عشر، انقساما عميقا حول مسألة السلطة السياسية. فقد كان الملك ووزراؤه، بمعنى ما، في نزاع دائم مع البرلمانات، أما المحاكم الفرنسية العظيمة فقد كانت تسيطر عليها الطبقة الأرستقراطية، التي ادعت أن من حق هذه المحاكم أن تفحص القوانين وترفض منها ما لا تريده.



كان هناك ـ ككل ـ ثلاثة عشر برلمانا في فرنسا، وكان لبرلمان باريس النفوذ الأقوى.

وكان يمكن شراء المناصب في البرلمانات، وكانت وراثية . والمناصب العليا تمنح الحائزين عليها حق النبالة الذين أصروا على ما يسمى «بنبالة الثوب» في معارضة « نبالة السيف».

كان البرلمانيـون مجانين بالبروتوكول، إذ يُعدُّ الاحـتفال بعودتهم في شهر نوفـمبر بعد عودتهم من عطلة الصيف واحدا من مناظر الطقوس العظيمة خلال السنة.



ونتيجة لذلك أصبح البرلمان، صوابا أو خطأ، مـركز المعارضة القانونية للملك المطلق، وكان في سنوات منتـصف القرن في صراع دائم مع العرش. وكـان قصر العـد ل ـ مركز برلمان باريس ـ على ما يقـول سيمـون سكيـمـا «في واقع الأمـر ـ في حد ذاته مـدنيـة مصغَّرة».

مونتسكيو و روح القوانين

نُشر كتاب مونتسكيو «روح القوانين» لأول مرة عام ١٧٤٨ يضفى احتراما سياسيا على الفكرة التى تقول إن البرلمانات ينبغى أن تعمل على الحد من امتيازات التاج، كما يعمد إلى نشر هذه الفكرة على نطاق واسع. وكان مونتسكيو نفسه رئيسًا لبرلمان «بوردو».



وأصبح فى يوم وليلة من أكثر الكتب رواجا، إذ طبعت منه اثنتى عشرة طبعة فى ستة أشهر، واختفى أعظم احتفال لكتاب «ألكسندر دلير» وهو كتاب موجز لمجموعة من التلخصيات عنوان «جنى مونتسكيو» مخصص للمناقشات الخلافية.

كان مونتسكيو يبحث عن الأسباب والمبررات التى جعلت المؤسسات السياسية على ما هى عليه؛ فشرع فى عمل مسح للتنوع الهائل للنظم السياسية والاجتماعية على أساس مبدأين، الأول: اطراد الطبيعة البشرية ، والثانى: الاختلافات التى تحدثها البيئة والثقافة . وكانت دراسة مونتسكيو أول دراسة كلاسيكية عظيمة يمكن أن يقال إنها «أدب اجتماعى» غيَّرت من طبيعة المناقشات الفلسفية فى موضوع السياسة.



القانون الطبيعى

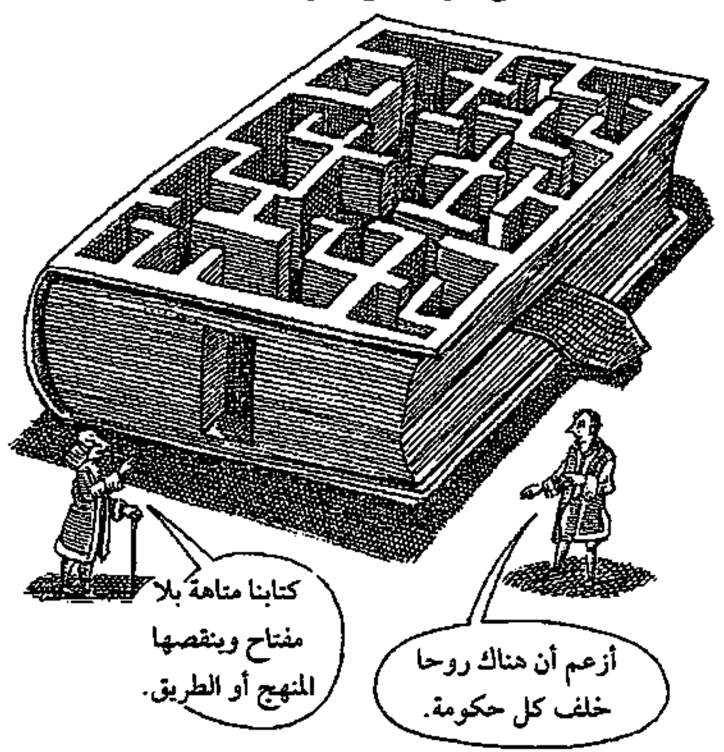
ونظر مونتسكيو مثل الكثير من معاصريه إلى الوراء إلى تراث قديم فى نظرية القانون الطبيعى، فقد اعتقد الرواقيون من أمثال شيشرون (١٠٦ ـ ٤٣ ق. م) أنه واجب أخلاقى على الإنسان أن يفكر بطريقة تجاوز العادات والعرف، وأن يكتشف ما الذى ينبغى عليه عمله.



يتحدث كُتّاب عصر التنوير أحيانا عن الله خالق القانون الطبيعى، ومصدر سلطته: «لكنهم بالفعل يستمدون أصله وصفته الملزمة من طبيعة الإنسان، اتفاق الحكماء عبر العالم، وعبر التاريخ، شهادة العقل الإحساس الطبيعى للإنسان بالعدالة، وكما عبّر عن ذلك ديدرو بطريقة ثورية، وإن ظلت اختبارية فى الموسوعة: الإرادة العامة التى لا تخطئ للبشر». (بطرس جاى)

التحفة المهملة

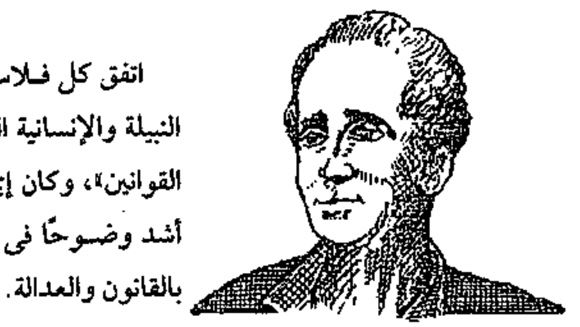
الثلث الأول من «روح القوانين» يعالج أشكال الحكومة وطبيعتها وحقوق الرعايا، ثم تحول الكتاب إلى تحليل تأثير المناخ والبيئة على السياسة والعادات الاجتماعية، ثم جاء الجزء الأخير من الكتاب مجموعة غير متآلفة من المناقشات ـ بين أشياء أخرى ـ عن الاقتصاد السياسي ، والسياسة فى فرنسا، والنظرية القانونية. لقد كان كتاب «روح القوانين» التحفة المهملة التنسيق فى القرن الثامن عشر.



خلف النظام الملكى يكمن «الشرف» الذى يعطى إحساسا بالمكانة والمسئولية، الذى تبرهن عليه النبالة، أما الروح التى تكمن خلف النظام الجمهورى فهى «الفضيلة» والإحساس بالوعى المدنى والانتماء وما يستلزمه من واجبات. أما الروح التى تكمن خلف نظام الاستبداد فهى «الخوف» وعندما تضعف أى روح من هذه الأرواح التى تدعم النظام فسوف تضعف الحكومة من تلقاء نفسها [١].

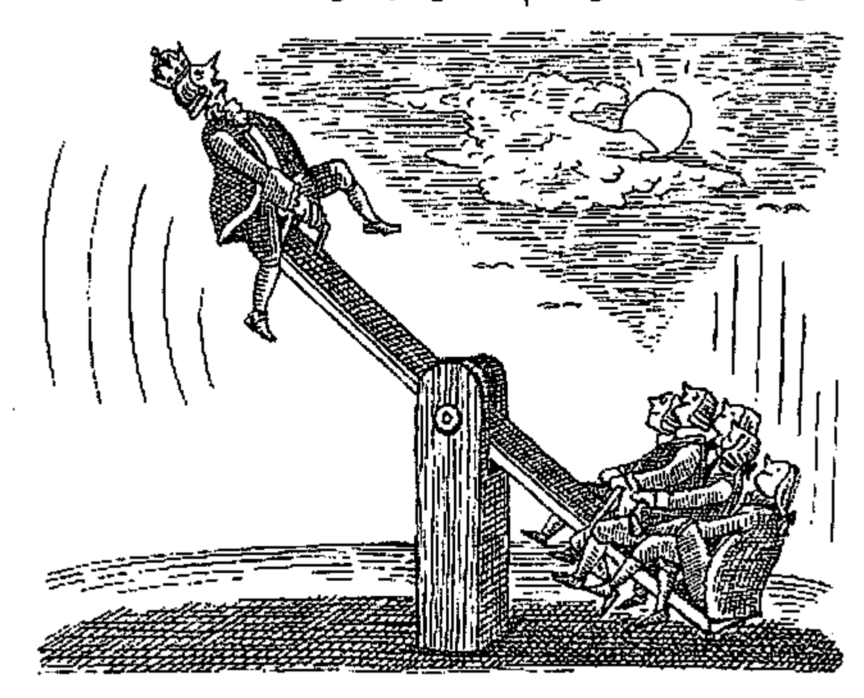
(١) كثيراً ما يقول مونتسكيو «المبدأ» الذى يركز عليه النظام الملكى، والمبدأ الذى يعتمد عليه الاستبداد.. إلخ، بدلاً من كلمة «الروح» . (المترجم)

الحرية الفردية وحكم القانون



اتفق كل فلاسفة التنوير على الفلسفة النبيلة والإنسانية التى يجسدها كتاب «روح القوانين»، وكان إيمان مونتسكيو بحرية الفرد أشد وضوحًا فى معالجته للقضايا المرتبطة بالقانون والعدالة.

كنتُ أعتقد باستمرار أن الاستبداد نظام سيئ وينبغى شكمه، ولقد استحسنتُ بصفة خاصة ما رأيت أن الرعايا البريطانيين يتمتعون به من حرية، وهى التى أعزوها إلى الفصل بين السلطات داخل النظام السياسى البريطانى.



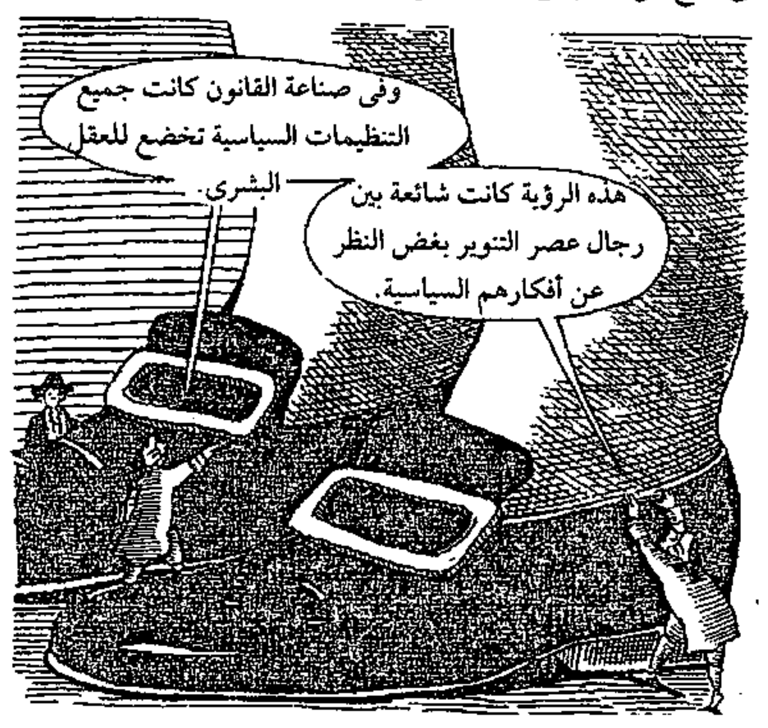
الملك فى رأى مونتسكيو هو السلطة التنفيذية الوحيدة، فى حين أن البرلمان وحده هو الذى يشرع القوانين، أما السلطة القضائية فتعمل ـ مستقلة ـ بمقتضى هذه القوانين.

والواقع أن كتاب مونتسكيو كان وجهة نظر مبسطة جدا عن السياسة البريطانية، وكان قد كتب في وقت التغير في بريطانيا. ولقد كان المفكرون الإنجليز الرواد يميلون إلى النزعة المحافظة، فلم تكن ثمة حاجة إلى الأيديولوجيات الراديكالية أو المتطرفة بعد تعريف جون لوك للبرالية السياسة، واللبرالية الاقتصادية. والواقع أن الراديكالية المبكرة في إنجلترا قد تحولت إلى ضدها عن طريق المستعمرات الأمريكية. ولقد أثر كتاب مونتسكيو ـ يقينا ـ عندئذ في النظريات السياسية في اسكتلنده في عصر التنوير.



المستبد المستنير

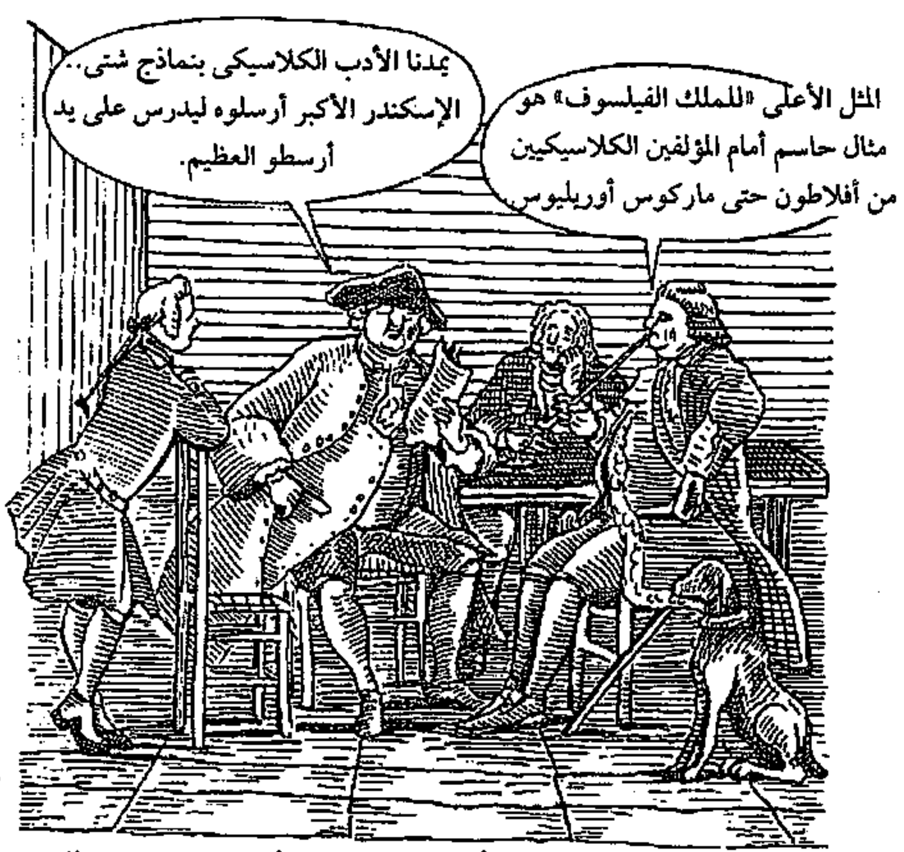
الكتابات السياسية في عصر التنوير موجهة أساسا ضد ما يسمى عادة بمصطلح فضفاض هو «الاستبداد» الذي يشمل العديد من الخطايا، وهو يضم أي استخدام تعسفي للسلطة من جانب الملك، لكنه يشير كذلك إلى الامتيازات التي تدعيها الطبقة الأرستقراطية والكنيسة. بمقدار ما تقوم هذه الادعاءات ببساطة على أساس التراث أو الأحداث السابقة أو السلطة، ضد هذه البقايا اللاعقلية أو المخلفات رفع عصر التنوير مثلا أعلى يضع كل عضو في الأمة ـ حتى الملك ـ تحت طائلة القانون.



ولقد أغرت حجج مونتسكيو بشكل النظام الملكي المقيد عددًا كبيرًا من المفكرين في منتصف القرن الثامن عشر، من بينهم الفزوقراطيون [1] الذين يدافعون عن حرية التجارة والليبرالية التجارية في ظل النظام القديم، والذين ظلوا من أنصار النظام الملكي.

(١) الفزوقراطيون أو الطبيعيون: جماعة من علماء الاقتصاد ظهرت في فرنسا في منتصف القرن الثامن عشر وزعمت أن القيمة مستمدة من الطبيعة ـ ومن هنا اسمها ـ دعوا إلى حرية التجارة، كان فرانسوا كيناي مؤسسها وتورجو من أبرز دعاتها. (المترجم)

ثم بعـد ذلك عندما تحـركت المشاعـر الديمقـراطية والجـمهـورية عند جيل جـديد من الثـوريين اسـتطاع هؤلاء أن يسـتـمـدوا لغـة للرؤية من كـتـابات روسـو، إلا أن مـعظم الشـخـصـيـات الرئيـسـيـة فى عـصـر التنوير كـانوا من المصـحلين ولـم يكونوا أبداً من الراديكاليين، ولقـد بدا لهم أنه من الطبيـعى أن يتجهـوا بخطابهم وحجـجهم إلى أولئك الذين يمارسون السلطة.



العديد من فلاسـفة التنوير ـ ومنهم ڤولتير وديدرو وهلڤتيوس ـ سحرتهم لفترة من الزمن فكرة «المستبـد المستنير»، أو ربما قلنا «الاستبداد المتنور»؛ لأن الاسـتبداد المتنور ليس نظرية سياسـية، ولا حتى عند فلاسفة التنوير، لكنهـا فرصة مهمة فى حـياة الحاكم. ولقد كان من الناحيـة السياسية ثانويا فى فـرنسا ولهذا فقد اتجهـو بفكرتهم لإصلاح الملوك إلى فردريك ملك بروسـيا، وكاثرين ملكة روسـيا اللذين مالا إلى التـسامح، وأظهرا اهتمـاماً بالإصلاح العقلى للحياة السـياسية، والقانونية، والاقتصادية.

فردريك الثانى: ملك بروسيا

فردريك الثانى (الأكبر) ملك بروسيا (١٧١٢ ـ ١٧٨٦) داعب خياله عدد من فلاسفة التنوير، فى عام ١٧٣٦ وكان لا يزال الأمير على عرش بروسيا كتب هجوما على ما كان يظن بصفة عامة أنه رواقية الفلسفة السياسية عند ماكيافيلى، وبرهن على اهتمامه بالفن، والموسيقى، والشعر، وكان فردريك قد بدأ المراسلة مع ڤولتير، ولقد كان ڤولتير مهتما بأن يعرف أصدقاؤه أن فردريك هو الذى بادر بالمراسلة.



فى صيف عام ١٧٥٠ أدار ڤولتير ظهره لباريس (التى لن يعود لزيارتها إلا بعد عودته المظفرة فى السنة الأخيرة من حياته) وبدأ ثلاث سنوات من الإقامة فى بلاط الملك فردريك الأكبر ، ولقد تحرر من الوهم عندما اكتشف أن الملك فردريك لم يقدر كثيرا أفكاره السياسية والفلسفية ،والواقع أنه لم تكن هناك خدمة تسدى إليه أفضل من إسعاد فردريك، وتصحيح أشعاره الفرنسية وامتداحها.

كاثرين العظمى: ملكة الروسيا

كاثرين الثانية (١٧٢٩ ـ ١٧٩٦) التى اعتلت عرش روسيا عام ١٧٦٢ كانت لها آراء أشد رحابة؛ فقد أبدت تصميما لإحداث تغييرات كثيرة مطلوبة فى البنى الروسية الاجتماعية والسياسية، وكانت قد تأثرت بمونتسكيو، وبالمنظر القانونى الإيطالى سيزار بيكاريا (١٧٣٨ ـ ١٧٩٤) واهتمت اهتماما عميقا بما تمّ إنجازه فى «الموسوعة».

وفى منتصف الستينيات (١٧٦٠) كان ديدرو على وشك الانتهاء من الموسوعة، وكان قد تلقى عدداً قليلا من المميزات والشرف كما مرّ بحقبة مظلمة من الشك العميق.



وبعد ذلك ببضع سنين عمل ديدرو ملحقًا ثقافيا غير رسمى عند الإمبراطورة كاثرين، وفى عام ١٧٧٣، أغرته الإمبراطورة بأن يقوم برحلة طويلة إلى سان بطرسبرج، وهى الرحلة الوحيدة ذات المغزى التى قام بها ديدرو خارج فرنسا.

صوَّر ديدرو وضعه فى روسيا على أنه وضع رجل أرسل عبر أوروبا لإرشاد الملكة، والقيام بدور سقراط مع ألقبيادس مع الملكة كاثرين، لقد كان تحقيق تخيلاته أشبه بالحلم؛ فقد اعتقد ـ مثل غيره من مفكرى التنوير ـ أن التقدم الاجتماعى لابد من أن يبدأ من أعلى، وأن على المصلحين أن يظفروا برضا الملك « فإلى مَنْ ينبغى أن يقدم الفيلسوف نفسه بقوة..» وما كتبه فى«صفحات ضد الطاغية» عام ١٧٦٩ «ما لم يكن إلى السيد؟»



كانت مجرد شائعات تلك التى تقول إن الإمبراطورة كانت تضع طاولة بينها وبين ديدرو لتحمى نفسها من تلميحاته النشطة.

إرشادات للإمبراطورة

سعى ديدرو إلى أن يضرم من جديد الطموحات التي استحوذت على هذه المرأة الهائلة العظيمة . لكنها كانت من الذكاء والثقة بالنفس حتى أنها لم تتأثر بنصائحه. ولقد كتب ديدرو، فيما بعد، تفصيل مناقشاتهما معا.



الكاهن.. والفيلسوف

الكاهن الذى يعتبر مذهبه الفلسفى نسيجا من المستحيلات يميل سرا إلى تدعيم الجهل، فالعقل هو عدو الإيمان.. والإيمان هو الأساس فى مركز القسيس، ومستقبله ومكانته.



«يتحدث الفيلسوف حديثا سيئًا عن القسيس أو الكاهن، ويتحدث الأخير عن الفيلسوف حديثا سيئًا أيضًا. غير أن الفيلسوف لم يحدث أبدا أن قتل قسا فى حين أن القسيس قتل عددا كبيراً من الفلاسفة.. ولم يقتل الفيلسوف أبدا أحداً من الملوك بينما قتل القسيس عدا كبيرا منهم..». ديدرو

الفلاسفة لن يشكلوا أبدا فرقة دينية

«علينا أن لا نخشى أن يضر أى رأى فلسفى بديانة الدولة، على الرغم من أن براهيننا تصطدم مباشرة بأسرارنا، فلا شىء من حيث الغرض لأن الأسرار لا يوليها الفلاسفة المسيحيون احتراما أقل، وهم يعرفون جيدا أن موضوعات العقل وموضوعات الإيمان من طبيعتين مختلفتين أتم الاختلاف.

لن يشكل الفلاسفة أبدًا فرقة دينية؛ وسبب ذلك هو أن كتاباتهم لا تتجه إلى الناس العاديين بما أنهم هم أنفسهم يخلون من الحماس.

لو أننا قسّمنا الجنس البشرى عشرين قسما، فسوف نجد أن ١٩ قسما منها يشتملون على أشخاص يقومون بالعمل اليدوى، ولا يعرفون أبدا أن هناك شخصا يسمى «مستر لوك»، وفى القسم العشرين المتبقى سنجد عددًا قليلاً من القراء، ومن بين هؤلاء نجد نسبة عشرين شخصا يسلون أنفسهم بالقصص الرومانسية إلى واحد يدرس الفلسفة، فالقسم المفكر من الجنس البشرى محصور فى نطاق عدد ضئيل جدا وهؤلاء لن يزعجوا السلام والطمأنينة فى العالم

لا مونتنى، ولا لوك ولا بايل، أو إسبنوزا أو هوبز أو لورد شافتسبرى، ولا كولينز، أو تولاند ـ أشعلوا نيران الفتنة والشقاق فى بلادهم، فقد كان ذلك بصفة عامة من اختصاص رجال الدين الذين يتوقون فى البداية لرئاسة أحزاب دينية، لكن ماذا أقول؟ إن جميع أعمال الفلاسفة المحدثين إذا ما وضعت معا لن تثير على الإطلاق تلك الفتنة التى أثارها الجدل بين الفرنسيسكان حول قلنسوة الراهب وأكمام ثوبه...».

«عن مستر لوك» بقلم ڤولتير فى «رسائل فلسفية» من إنجلترا (١٧٣٣) .

كتب فردريك الأكبر إلى ڤولتير يقول:

«مبنى الخرافة بدأت أسسه تترنح وتميل إلى السقوط، وسوف تكتب الأمم فى تاريخها أن ڤولتير كان المثير والمحرض على الثورة التى نشبت فى عقول الناس إبان القرن الثامن عشر... ».



الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا

الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا أصابها مرض خطير، فقساوسة الأبرشيات يعيشون فى فقر مدقع، يؤدون عملهم دون مساعدة من رؤسائهم، فى حين أن الأساقفة وهم فى العادة من أسر نبيلة يعيشون فى قصور فخمة، والكثيرون منهم أهملوا واجباتهم وتركوا أحرارا فى اعتناق معتقدات أرثوذكسية.

وربما لم يكن سلوك الكاهن فى القرن الثامن عشر أسوأ مما كان عليه فى القرون السابقة، والقصص التى تروى فى الحانات منذ العصور الوسطى قد خلفت حصيلة زاخرة من الشخصيات.



فالرهبان الفاسقون الماجنون ، والراهبات الشهوانيات، والأساقفة العاجزون جنسيا، مصابون بأمراض جنسية، ورئيسات الأديرة يمارسن السحاق ويستسلمن «لجنون الرحم».

وكان الكاهن هدفا سهلا للوشاية ، وكثيراً ما ظهر فى الأدب المكشوف الذى انتشر فى عصر التنوير.

عصر التنوير بوصفه عصر الإيمان

الهجمات المتكررة على سلطة الكنيسة الكاثوليكية بقيادة فلاسفة التنوير يمكن أن تعطى الانطباع بأنه كان هناك موقف قوى، بصفة خاصة، ومزاج مكافح ومناضل إبان عصر التنوير، والواقع أن الأمم المختلفة فى أوروبا، فى القرن الثامن عشر، رأت أن مؤسسات الدولة تظفر بالسلطة والنفوذ على حساب الكنائس القائمة سواء أكانت كاثوليكية أم بروتستانية.

وسوف يكون من الخطأ أن نرسم صورة للقرن الثامن عشر على أنه القرن الذى كان فيه الإيمان فى حالة دفاع مستمر ضد المسيرة المتقدمة الظافرة للعقل. لقد شهد عصر التنوير أيضا تطور حركات دينية قوية.



- فى إنجلترا بداية الكنيسة الميثودية [١].
- فى المستعمرات الأمريكية الشمالية «اليقظة الكبرى».
- ظهور طائفة الحسدية السرية [٢] بين يهود بولندا.
- الولايات البروتستانتية الألمانية، وحركة التقوى.

---

(١) الميثودية Methodism : طائفة بروتستانتية أسسها جون وزلى J. wesley (١٧٠٣ ـ ١٧٩١) عام ١٧٤٠ فى محاولة لإحياء كنيسة إنجلترا وهى تؤكد على الأخلاق الفردية والمسئولية فردية وجماعية . (المترجم)

(٢) الحسدية أو الحصيدية Hasidism: هى مذهب فى الباطنية اليهودية يحاول العودة إلى النقاء الأول وعدم التأثر بديانات الأغراب وعاداتهم .(المترجم)

الضرورة الاجتماعية للدين

هناك حكاية ظريفة ـ من المحتمل أنها منتحلة ـ انتشرت انتشارا واسعا تقول إن ڤولتير كان قد دعا مجموعة من فلاسفة التنوير إلى منزله فى فرنى للسمر. وكانت هذه المجموعة تتحدث بحرية وبصراحة عن الإلحاد، وفجأة طلب ڤولتير من الجميع الصمت كما طلب من الخدم الخروج من الغرفة، ثم برر هذا الحذر فيما بعد بسؤال: « أتريدون أن تقطع حناجركم الليلة؟»



وضع الخوف من جهنم

على الرغم من أن ڤولتير وكثيرين غيره من فلاسفة التنوير شكوا فى الحقائق التى يدافع عنها اللاهوتيون، فإنهم رغم ذلك شعروا بأن الدين من المحتمل أن تكون له ضرورة اجتماعية، فالخوف من جهنم والعقاب الأزلى لا يزال يعمل كأداة مؤثرة فى الضبط الاجتماعى، كما لاحظ إدوارد جيبون (١٧٣٧ ـ ١٧٩٤) فى كتابه: «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦ [1].

النماذج المختلفة من العبادة المنتشرة فى العالم الرومانى اعتبرها الشعب كلها صحيحة على قدم المساواة ، واعتبرها الفلاسفة كلها زائفة، واعتبرها الحكام كلها مفيدة على قدم المساواة.



(١) ترجمه إلى العربية لويس إسكندر وراجعه أحمد نجيب هاشم وأصدرته الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر عام ١٩٦٩ . (المترجم)

الكنيسة، والدولة، والحقوق المدنية

كان التسامح الدينى يصعب على العديد من الحكام إنجازه من الناحية الرسمية؛ فالغالبية العظمى من الولايات يحكمها ملوك يستمدون مشروعية حكمهم ـ على الأقل فى جانب منه ـ من ولائهم لكنيسة معينة. فملك فرنسا الذى كان رعاياه يشكلون عددا كبيرا من البروتستانت، يقسمون فى أثناء حفل التتويج أن يستأصلوا الهرطقة البروتستانتية، وملك إنجلتر كان الرأس الدنيوى للكنيسة، وملك بروسيا كان الأسقفى الأعلى فى الكنيسة اللوثرية.

اعتقدتُ أن دورى هو دور الملك الكاثوليكى المخلص؛ ولهذا قمتُ بترحيل عدد كبير من الرعايا البروتستانت من بوهيميا.

ماريا تيريزا إمبراطورة النمسا (١٧١٧ ـ ١٧٨٠) (١).

وباعتبارى ابنها وخليفتها على العرش فقد كنت أكثر لبرالية ، فقد أردت أن أعرف رعاياى بطريقة تتجاهل ولاءهم الدينى.

چوزيف الثانى (١٧٤١ ـ ١٧٩٠) (٢).

أصدر الإمبراطور چوزيف الثانى فى عام ١٧٨٢ منشور التسامح الذى أعطى ليهود النمسا عددا من الحريات المدنية المهمة.

(١) ماريا تيريزا (١٧١٧ ـ ١٧٨٠): ارشيدوقه النمسا وملكه هينغريا وبوهيميا، زوجه الإمبراطور فرنسيس الأول، ووالدة مارى أنطوانيت، ورثت عرش أستراليا بعد وفاة أبيها . (المترجم)

(٢) چوزيف الثانى (١٧٤١ ـ ١٧٩٠): ملك ألمانيا (١٧٦٤ ـ ١٧٩٠) ورأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٧٦٥ ـ ١٧٩٠) ابن فرانسيس الأول وماريا تيريزا، يعتبر أحد الطغاة المستنيرين فى القرن الثامن عشر: ألغى القنانة، وأصلح نظام الضرائب، ونشر التعليم، ورفع القيود عن التجارة. (المترجم)

اعتلى فردريك الثانى العرش فى عام ١٧٤٠ السنة نفسها التى اعتلت فيها ماريا تريزا العرش، وعلى الرغم من أن فردريك كان رسميا رأس الكنيسة اللوثرية، فإنه شخصيا كان رجلا ماسونيا غير مؤمن،ولقد حدد دوره بأنه الرابطة بين الجماعات الدينية المختلفة في بروسيا، إلى الحد الذى جعله يفرض غرامات على بناء كاتدرائيات كاثوليكية جديدة فى العاصمة برلين عام ١٧٤٧. ولقد منعت بحوث الهرطقة، والمناظرات الدينية العامة، وفى عام ١٧٥٠ منح اليهود فى بروسيا حقوقا جديدة.



موسى مندلسون (١٧٢٨ ـ ١٧٨٦) مفكر وكاتب يهودى، نشأ فى بيئة فقيرة لكنه أصبح شخصية لامعة فى عصر التنوير فى ألمانيا، وكان هو نفسه ثورة أثرت فى المجتمع المسيحى فى برلين وجعلته يراجع موقفه من اليهود، لقد أمدَّ مندلسون صديقه كاتب الدراما جوتهولد لسنج (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) بنموذج لمسرحيته «ناتان الحكيم».

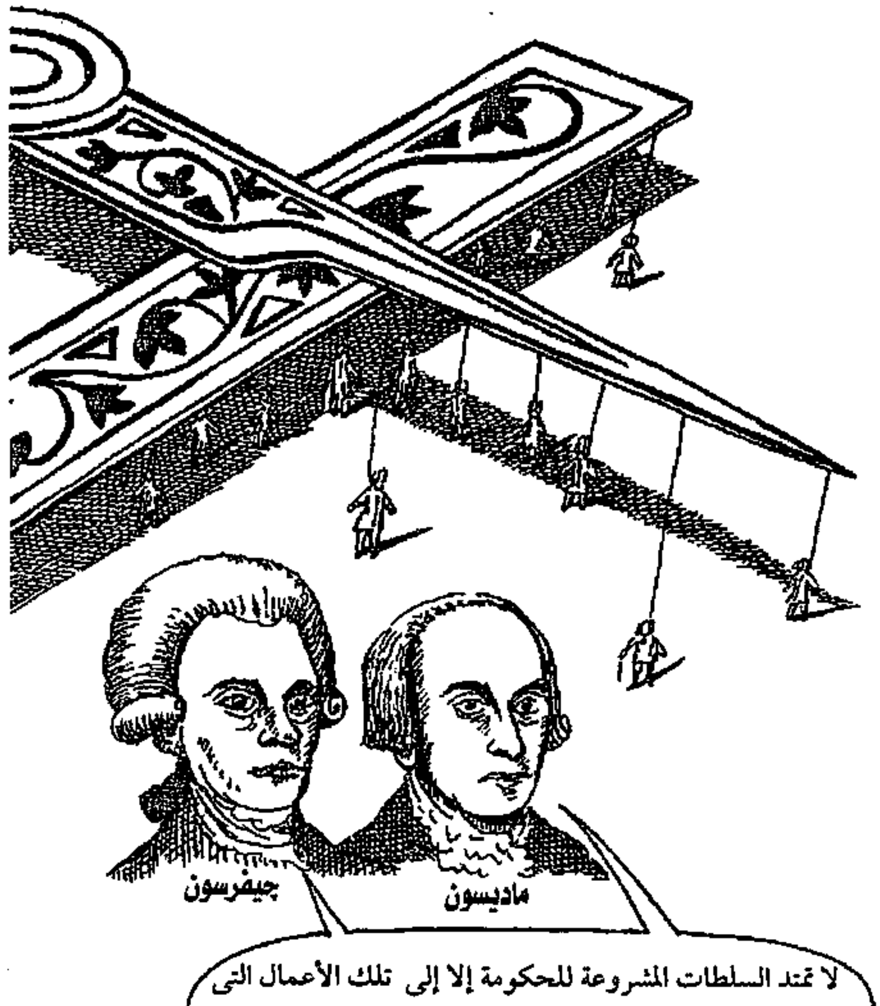
الماسونية

في عـام ١٧١٧ شهـدت لندن إنشـاء أول مـحفل مـاسـوني في إنجلتـرا. ولقد حـقق الماسونيـون أهميـة ملحوظة خـلال القرن الثـامن عشـر، ويرجع جانب من نجـاحهم إلى اشتـراك الأرستقـراطيين، بل أمراء من أمـثال فردريـك الكبير ملك بروسـيا، وفـرانسيس الأول ملك النمسا، وكان بنيامين فرانكلين وڤولتير - لبعض الوقت - أعضاء في محفل ماسوني واحد.



كانت الماسونيـة خليطًا من الشعائر الصوفيـة السحرية والدنيوية، والمثل العليا الكلية مثل: الإخـاء والمساواة، والتسـامح الديني، والعـقل، إلا أن الماسـونيين أدينوا من البـابا بندكت الرابع عشر عام ١٧٥١، كما كانت موضع ريبة سياسية في الولايات الألمانية.

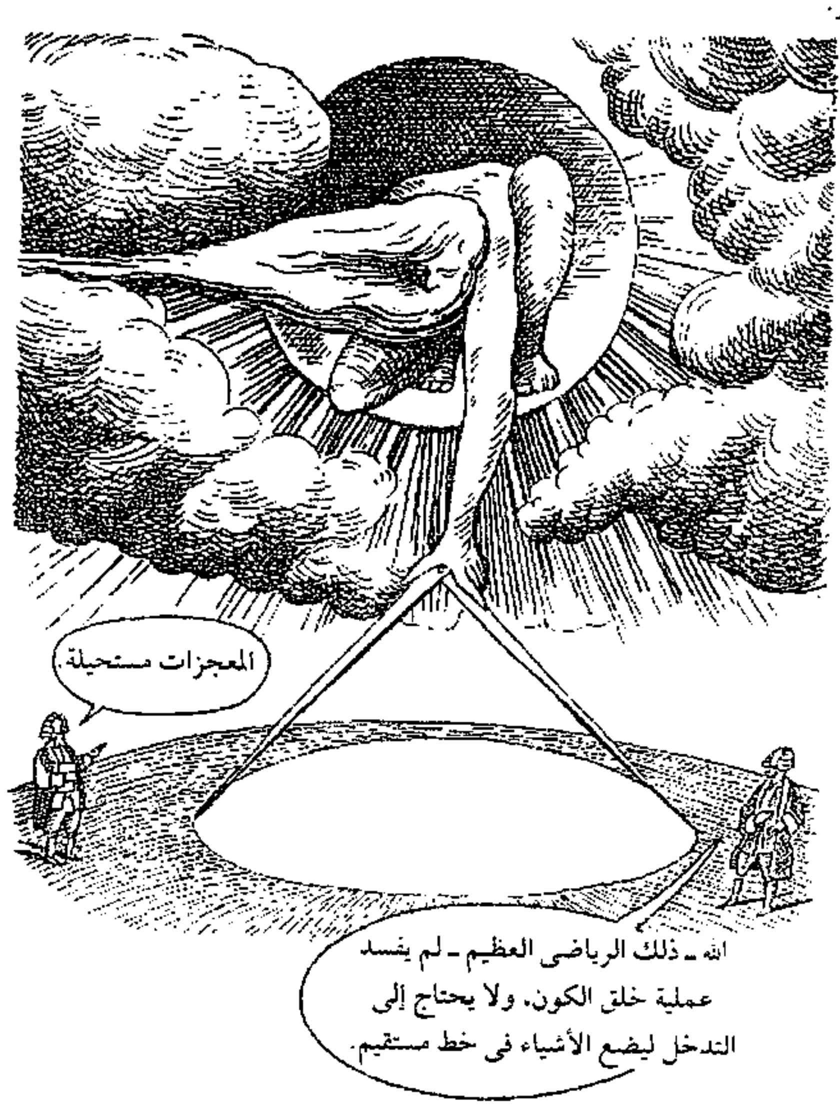
عندما استقر آباء الثورة الأمريكية ـ ومعظمهم من الماسونيين ـ على مسوَّدة الدستور الأمريكية للولايات المتحدة لم يذكروا الله بكلمة واحدة، فتوماس چيفرسون (١٧٤٣ ـ ١٨٢٦)، وچيمس ماديسون (١٧٥١ ـ ١٨٣٦) سعيا بصفة خاصة إلى استبعاد الدين من الحياة العامة والسياسية.



لا تمتد السلطات المشروعة للحكومة إلا إلى تلك الأعمال التي تؤذي الآخرين فحسب، لكن لا يؤذيني في شيء أن يقول جاري إن هناك عشرين إلها، أو يقول لا يوجد إله قط، فلا هذه ولا تلك تسرق جيبي أو تكسر ساقي.

صانع الساعات العظيم

يقترب عصر التنوير شيئًا فشيئًا من التوحيد بين الله وقوانين الطبيعة، فهو انتظام الطبيعة الذى كشفت عنه علوم نيوتن، فهى التى زودتنا بأعظم تجل يوثق به للألوهية، فالكون كله بجماله، واتساعه، وتصميمه المحكم، يشهد بحضور الإله، ومهارته الفائقة فهو مثل الساعاتى العظيم، خلق العالم، ووهبه قوانين ثابتة لا تتغير، لكى تسيِّره ثم تركه يسير.

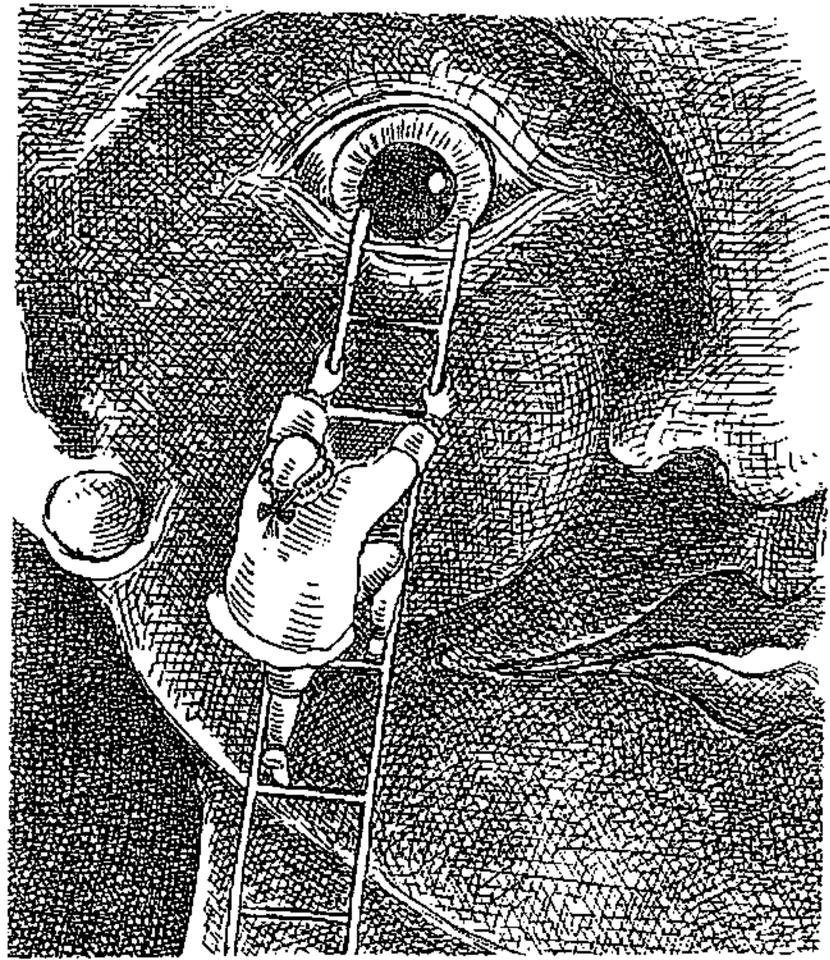


مذهب الشك عند ديفيد هيوم

لقد كانت المشكلة هى أن التراث المسيحى يبحث عن برهان على ألوهية المسيح عن طريق المعجزات التى شهدت بها الأناجيل، فالمعجزات مثل قيامة ألعازر بعد موته، أو فكرة القيامة (أو البعث) نفسها، هى كلها تتورط فى طرح قوانين الطبيعة نفسها التى كان الكثيرون فى عصر التنوير شغوفين فى التوحيد بينها وبين الله. ولقد ذهب ديفيد هيوم (١٧١١ ـ ١٧٧٦) ـ الشخصية الرئيسية فى عصر التنوير فى أسكتلندا ـ أبعد من معظم مفكرى ذلك العصر.



كان ديفيد هيوم صانع معظم الهجمـات المروعة ضد عقلانية الإيمان بالله، ربما أكثر من أى فيلسوف آخر، وكان عدد من الفلاسفة قبل هيوم قد اتهموا بالإلحاد،أما هيوم فقد كان أول فيلسوف عظيـم يعترف بذلك، ولقد حاول أصـدقاؤه إقناعه بعدم نشـر كتابه الأول: «محاورات فى الدين الطبيعى»[1] (عام ١٧٧٩) إبان حياته.



لم تكن لى أى حـجـة مع فكرة الخـالق، إلا أن أى عـبارة تدعـى وصف خصـائصه وصفاته لابد من أن تكون ـ قطعا ـ عبارة غير منطقية؛ فلا يمكن الدفاع عن الإيمان بطريقة عقلية على الإطلاق.

(١) ترجمه الدكتور محمد فتحى الشنيطى، ونشرته مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٥٦ . (المترجم)

رسالة عن الطبيعة البشرية

اكتملت رسالة هيوم عن «الطبيعة البشرية» (١٧٣٩ ـ ١٧٤٠) عندما بلغ السادسة والعشرين من عمره، وكان عنوانها الفرعي يصفها بأنها: «محاولة لإدخال منهج الاستدلال التجريبي في موضوعات أخلاقية» ، فهي تمد وتطبق السيكولوجيا التجريبية التي كان چون لوك رائدا لها.



كان مـذهب الشك عند هيـوم متطرفـا لدرجة أنه هدد بتـقويض المفـهوم نفـسه الذى يستند إليـه العلم نفسه ؛ وأعنى به مـفهوم: السببية. فـإذا أخذنا مثال كـرة البلياردو التى يقذف بها على طاولة البلياردو، وهو يشير إلى أننا نستطيع تمييز السبب عن النتيجة، لكننا لا نستطيع أن نختبر «السببية».

فنحن نشاهد حـركة كرة البليـاردو الأولى (أو السبب إن شئـت) وهى تندفع بأقصى سرعـة نحو الكرة الثانيـة، نحن نشاهد حركـة (أو نتيجـة) الكرة الثانية بعـد أن تكون قد صدمت، لكننا لا نستطيع أن نعـزل أو نخبر السببية نفسها.

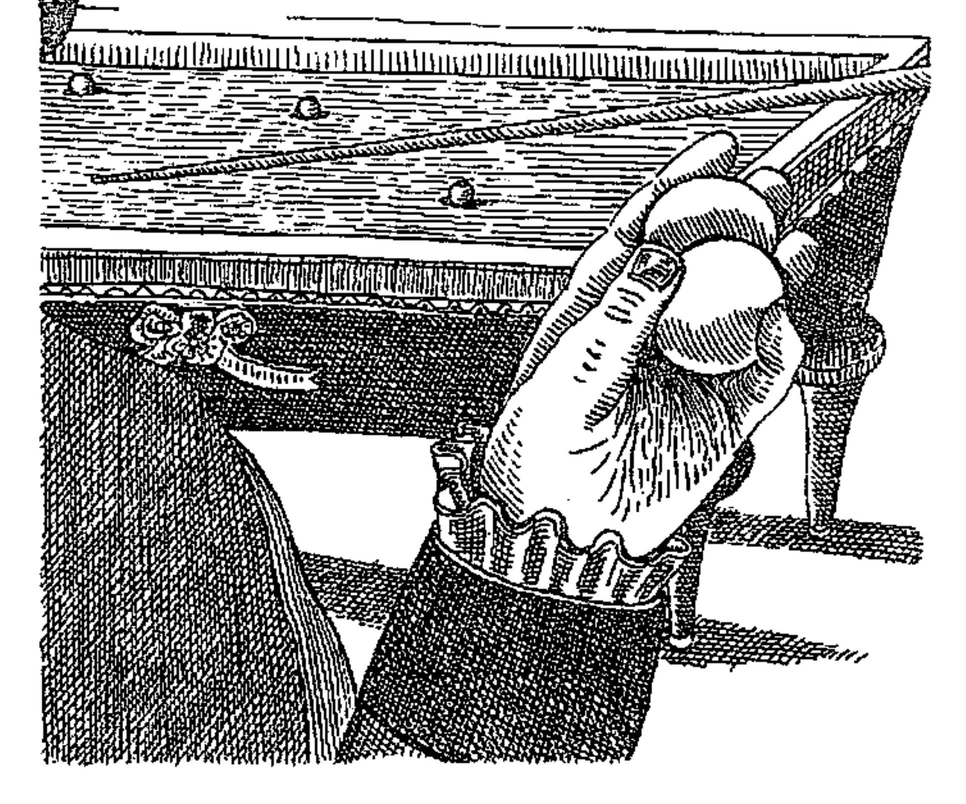
ويبدو الـعلم مرتكزا على أسـاس مهـتز مثل أساس الدين.



مذهب الشك عند هيوم ليس فقط تهديدا لوحدة العالم الخارجى، بل عالم التجربة ذاتها، و«الذات» تتجزأ شذرات فى تأملات هيوم المرعبة، فهى تعرض نفسها لحزمة من الإدراكات الحسية، وترتبط كل تجربة جزئية بلحظة جزئية من الزمان، ولحظة بعد ذلك تخلق انطباعا مختلفا ، ولا شىء يربط الإحساسين معا إلا العادة، «فالذات» ليست سوى فكرة مختلفة.

أين أنا، أو ماذا أكون؟ من أى الأسباب أستمد وجودى، وإلى أى الحالات سوف أعود؟.. أنا مرتبك مع كل هذه الأسئلة وبدأت أتخيل نفسى فى حالة يرثى لها، يملأنى ظلام عميق، محروم تماما من أى عضو وأية ملكة.

الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠) يعلق على ذلك بقوله فى الأجزاء المتأخرة من الرسالة نسى هيوم كل ما يتعلق بشكوكه الأساسية ، وكتب مثل كثيرين من فلاسفة الأخلاق المستنيرين فى عصره، مطبقا على شكوكه العلاج الذى أوصى به، أعنى «الإهمال وعدم الاهتمام».



موسيقى عصر التنوير

مع ازدياد الحفلات الموسيقية العامة، وازدهار دور الأوبرا، قدّمت هذه بديلا عن الرعاية التقليدية التى كان يقوم بها البلاط والكنيسة. وكان للموسيقين الإيطاليين من أمثال أنطونيو ڤيڤالدى (١٦٧٨ ـ ١٧٤١) [1] ودمينيكو سكارلاتى (١٦٨٥ ـ ١٧٥٧)[2] القيادة المبكرة. كان ڤيڤالدى غزير الإنتاج بالنسبة للموسيقى الدينية والأوبرا بما فى ذلك أكثر من ٤٥٠ كونشرتو، أما سكارلاتى الذى كتب أكثر من ٥٠٠ سوناتا من أجل لوحة المفاتيح فقد كان ابن ألسندرو سكارلاتى (١٦٦٠ ـ ١٧٢٥) [3] مؤسس



(١) ڤيڤالدى (أنطونيو) (١٦٧٨ ـ ١٧٤١): مؤلف موسيقى وعازف كمان إيطالى درس الموسيقى على أبيه، والتحق بسلك الكهنوت عام ١٧٠٣ . كان غزير الإنتاج إلى حد بعيد فقد وضع نحوا من خمسين أوبرا، وألف أربعمائة كونشرتو أشهرها أربع تعرف باسم «الفصول الأربعة». (المترجم)

(٢) سكارلاتى، ألسندرو (١٦٦٠ ـ ١٧٧٥): مؤلف موسيقى إيطالى يعتبر رائد الأوبرا الحديثة ومؤسسها، وأحد عمالقة الموسيقى العالمية. (المترجم)

(٣) ألسندرو سكارلاتى (١٦٦٠ ـ ١٧٢٥) مؤلف موسيقى إيطالى يعتبر رائد الأوبرا الحديثة ومؤسسها وأحد عمالقة الموسيقى العالمية وضع ١٥٠ أوبرا وعددا من الألحان الدينية. (المترجم)

مدرسة نابليون في الأوبرا. وفي عام ١٧٣٥ تقاعد جيوفاني باتستا برجوليزي (١٧١٠ ـ ١٧٣٦)[1] الذي عرف أنه سرعان ما سيموت واعتزل في دير ليكتب «الأم الثكلى ..Stabat Mater » وهي قطعة حساسة من الموسيقى الدينية جعلته شهيرا.. وفي عام١٧٥٢ مثلت له أوبرا كوميدية هي«السيدة ـ الخادمة» التي أشعلت في باريس نيران المعركة المعروفة باسم «حرب المهرجين» بين المؤيدين للجوانب التي تستحق الاحترام في الأوبرا الإيطالية الجديدة وأنصار الأسلوب الفرنسي الكلاسيكي في تراث چان ـ بابتست لولي (١٦٣٢ ـ ١٦٨٧)[2]، الذي كان ممثله الأساسي چان ـ فيلب رامو (١٦٣٣ ـ ١٧٦٤). ولقد اشترك الموسوعيون في هذه الجلبة فروسو الذي كتب معظم المقالات الموسيقية للموسوعة، كان أيضًا مؤلفا لبعض الأوبرات الإيطالية الناجحة مثل «عرّاف القرية» ، وكان دفاع روسو عن المذهب الطبيعي في الأوبرا مع الموسيقى التي تخدم العمل الدرامي ـ هو الذي طوّره كريستوف جلوك (١٧١٤ ـ ١٧٨٧) الذي عمل في باريس وڤينا.

وكان كثير من الأعمال بطبيعتها دينية مثل «آلام المسيح وفق إنجيل متى» (عام ١٧٢٩) لـ ج س. باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) [3] إلا أن باخ كتب أيضا موسيقى دنيوية مثل «كونشرتو براندنبرج عام» (١٧٢١) أصبح أبناه C. P. E. باخ و ج .س. باخ من أهم الموسيقيين في القرن الثامن عشر.

---

(١) برجوليزي (جيوفاني باتستا) (١٧١٠ـ ١٧٣٦) : مؤلف موسيقي إيطالي أصيب بالسل فمات في السادسة والعشرين من عمره. وضع عدداً من الألحان الكنسية ولكن شهرته تقوم على أعماله في حقل الأوبرا. (المترجم)

(٢) مؤلف موسيقي وعازف إيطالي الأصل أقام بفرنسا وأشرف على تكوين أوركسترا يضم أربعة وعشرين عازفا للآلات الوترية. (المترجم)

(٣) يوهان سباستيان باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠): يختتم عصر الباروك في عالم الموسيقى، كتب الكثير من المطبوعات الموسيقية الدينية مثل: «آلام السيد المسيح وفق إنجيل القديس متى» و«موسيقى القداس» وغيرها. (المترجم)

فردرش هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) [(١)] وصل إلى إنجلترا عام ١٧١٠ فى السنة التى تأسست فيها دار الأوبرا فى كوفنت جاردن فى لندن، وكان هيندل قد استقر وضعه كموسيقار ألّف خمسين أوبرا من الأسلوب الإيطالي، كما كتب أيضا عشرين من الأوراتوريو Oratorios [(٢)] وكان منها المسيح المنتظر التى مثلت لأول مرة فى دبلن عام ١٧٤٢ وكانت من أشهر أعماله، كما كتب موسيقى للاحتفالات الملكية، وسخر جون جاى (١٦٨٥ - ١٧٣٢)[(٣)] من موضة الأوبرا الإيطالية فى مسرحيته «أوبرا الشحاذ» عام ١٧٢٨ التى جسدت أغانى الشارع الشعبية فى ذلك الوقت.

ظل فرانز جوزيف هايدن (١٧٣٢ - ١٨٠٩) [(٤)] على مدى ثلاثين عاما يستخدمه الأمير إيسترهازى كتب فيها ١٠٤ سيمفونيات، و... رباعيا وترها و٥٢ سوناتا للبيانو وأوبرات



وموسيقى للكورال. وكثير من فلاسفة التنوير سمعوا الصبى، الذى يبلغ من العمر سبع سنوات «فولفجانج أماديوس موتسارت» (١٧٥٦ - ١٧٩١) وهو يعزف فى باريس، لقد مات موتسارت وهو فى فقر مدقع إلا أنه فى سنواته الأخيرة كتب سميفونيات رائعة وأوبرات عظيمة «زواج فيجارو» عام ١٧٨٦، و«دون جيوفانى» عام ١٧٨٧ و«كوزى فان توت» عام ١٧٩٠ و«الناى السحرى» عام ١٧٩١ التى طبعت بطابعها عصر التنوير.

---

(١) جورج فردرش هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩): مؤلف موسيقى ألمانى ضاق ذرعا ببلاط أمير هانوفر بألمانيا فرحل إلى إيطاليا ومنها إلى لندن عام ١٧١٠ التى أحبها وشعر أنه يستطيع أن يؤدى فيها دورا فى خلق الأوبرا خلقا متطورا وكتب كثيرا من الأوبرا منها أوبرا «يوليو قيصر فى مصر». (المترجم)

(٢) أوراتوريو Oratorio : لون من التأليف الموسيقى نشأ حوالى عام ١٦٠٠ ويتكون من نص دينى مسهب أعد إعدادًا دراميا ويشترك فى أدائه المغنون الفرادى والكورال، ولا يحتاج إلى تمثيل ومناظر بل يؤدى فى الكنيسة تلاوة وإنشادا. (المترجم)

(٣) جون جاى (١٦٨٥ - ١٧٣٢): شاعر وكاتب مسرحى إنجليزى تمتع فى عصره بمكانة مرموقة، أشهر آثاره المسرحية «أوبرا الشحاذ» عام ١٧٢٨، وقد صور فيها التفسخ الخلقى فى المجتمع الإنجليزى. (المترجم)

(٤) فرانز جوزيف هايدن (١٧٣٢ - ١٨٠٩): موسيقار نمساوى بدأ فى التأليف الموسيقى وهو فى الثامنة من عمره، وفى نهاية حياته كان قد قدّم أعمالا فى مختلف أنواع التأليف الموسيقى. (المترجم)

روسو المتوحش

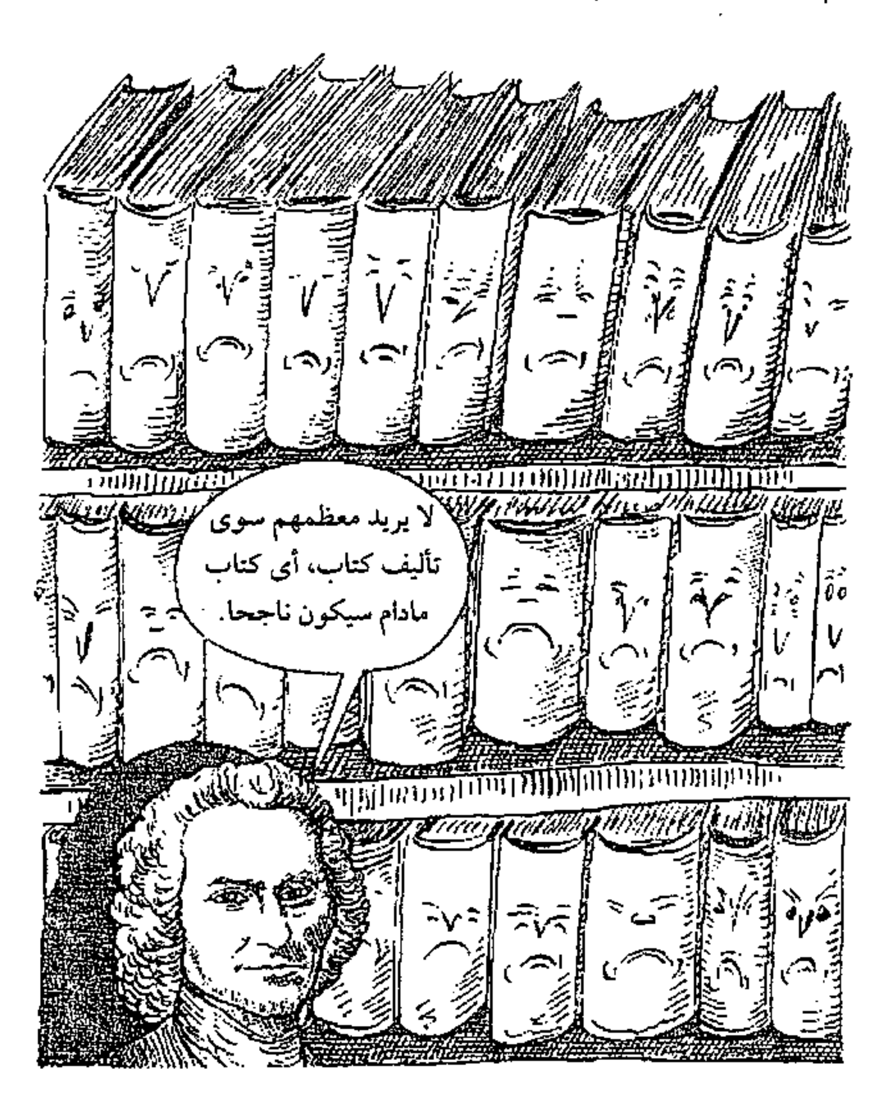
حوَّل روسو نفسه إلى عدو لدود «للتكلف» بكل أشكاله، ولم تكن عداوته للأغنياء واضحة فحسب (مما أخاف ڤولتير) بل امتدت إلى كثير من أتباعه من فلاسفة التنوير، وهم يستعرضون بضاعتهم العقلية.



بدأ روسو فى الخمسينيات (١٧٥٠) يخرج شيئًا فشيئًا من دائرة التعاطف مع جماعة هولباخ، أو باريس بصفة عامة، وكانت هناك معارك ساخنة «مع موسوعات» أخرى، «لقد سئم من رجال الصالونات والحفلات وملَّ من أولئك الذين يريدون استعراض أنفسهم»، وشعر بالضيق من «المنشورات، والبيانو القديم، ولعب الورق، والكلمات المعسولة الغبية، ورواة الحكايات ومعدِّى حفلات العشاء الفاخر» (١٧٥٦).

رحلة إلى الباطن

«لقد التقيت برجال كثيرين تعلموا فى تفلسفهم أكثر منى، لكنهم فى تفلسفهم ظلت فلسفتهم خارجية عنهم، يرغبون فى أن يعرفوا أكثر من الآخرين، وهم يدرسون أعمال الكون، كما لو كانوا يستطيعون دراسة آلة عثروا عليها بسبب حب استطلاعهم المحض، ودرسوا الطبيعة البشرية ليتحدثوا عنها بلغة العارف بموضوعه، وليس لكى يعرفوا أنفسهم، ويوجهوا مجهوداتهم لإرشاد الآخرين، وليس لتنوير أنفسهم من الداخل...».



اعترافات روسو

يمثل روسو رجلا أسكره تنوير بديل، وهو رجل يصل إلى جمهور عريض؛ لأنه جمع أفكاره ووضعها في رواية من أكثر الروايات رواجا هى «هلويز الجديدة» فى عام ١٧٦١، ثم فى رسالة تربوية تقرؤها كما لو كنت تقرأ قصة هى «إميل» عام ١٧٦٢ وكان جمهور القراء شغوفا بقصة أخرى هى قصة حياته.

وفى يناير عام ١٧٦٢ استقر رأى روسو على أن يعرض نفسه على شكل سلسلة من الرسائل إلى «ماليشرب» وهى التى شكّلت فيما بعد نواة كتابه «الاعترافات» (عام ١٧٨١ ـ ١٧٨٨).



كان فلاسفة التنوير جماعة علمانية اجتماعية مهذبة ، إلا أن روسو كان دائما يحترق بنيران دينية ، وكان فلاسفة التنوير ينظر الواحد منهم إلى الآخر فى صراع لتحديد الدفاع عن شريعة جديدة للفضيلة التى تكون حديثة وعامة. أما روسو فقد كان ينظر إلى الضمير على أنه المرجع الوحيد فى مسائل الأخلاق.

حذر ديدرو صديقه من مثل هذا النوع من الذاتية.

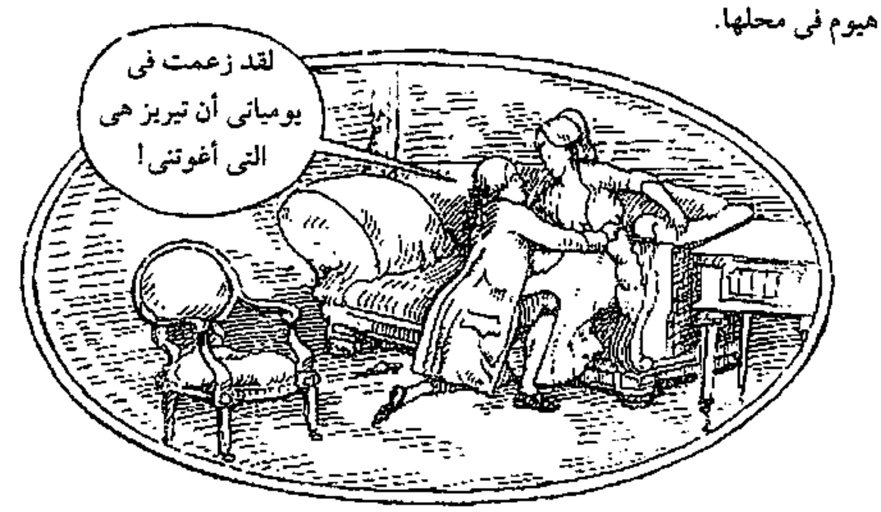


لقد عُنى روسو عناية فائقة بوجوده الباطنى، وذلك دليل على استعداده الطبيعى لجنون العظمة، غير أن الشخص المصاب بجنون العظمة يشعر أيضًا بالاضطهاد، وإن كان روسو كان يعانى بالفعل من الاضطهاد ثم جاء جنون العظمة ليزيد الأمر سوءا، ففى لحظة من اللحظات كان منزله يقذف بالحجارة، وكان يتخذ ملجأ وملاذا منزل سان بيير، إلا أن سلطات بيرن طردته.

ثم بعد ذلك، في باريس عرض عليه ديفيد هيوم صاحب القلب الطيب المساعدة بأن يعثر له فى إنجلترا على مكان يلجأ إليه.



لم تلحق تيريزا ـ زوجة روسو ـ به في لندن إلا فيما بعد. وعندما عرف هيوم أن مرافقها فى السفر فاسق شهير هو چيمس بوزويل (كاتب سيرة دكتور جونسون) ارتعب من حادثة «قاتلة تمس شرف صديقنا» لقد انتزعناها من فم فحل الخيل، وكانت مخاوف هيوم في محلها.



الرومانسى الأول

عندما فسَّر روسو لـ «ماليشرب» قال له : «لقد فتشتُ عن مكان برّى فى الغابة» فى مكان فى عزلة هائلة ضاعت روحه.. «لا أفكر، ولا أستدل ، لكنى أشعر بنفسى بضرب من اللذة الحسية.. فى تفكك جوهر الكون».. نشوة حلوة وعميقة تمسك بالحواس حتى أنك تفقد نفسك، فى لون من السكر اللذيذ، فى ذلك النظام البديع الذى توحد نفسك معه، عندئذ تهرب منك جميع الأشياء الحزينة بحيث لا ترى ولا تشعر إلا بالكل».



آدم سميث (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠)

آدم سميث ـ مثل صديقه ديڤيد هيوم ـ شخصية رئيسية في التنوير في اسكتلندا. كان الطفل الوحيد في أسرة تعيش في ظروف جيدة في «كيركالدي» وهي قرية على شواطئ «فيرث فورث» كان والده موظفا في الجمارك، توفي قبل ولادته بأشهر قليلة، فظل آدم قريبا من أمه طوال حياته. وقبل أن يتم الرابعة من عمره سرقته عصابة من الغجر، ومضى بعض الوقت قبل العثور عليه.

ولقد التحق سميث بكلية باليول بجامعة أكسفورد كطالب منحة عام ١٧٤٠ ، لكنه وصف الجامعة بأنها «غارقة في المحظورات والتحاملات المجحفة».



صادرت سلطات الجامعة نسخة آدم سميث من كتاب ديڤيد هيوم الذي كان قد نشر حديثا وعنوانه: «رسالة عن الطبيعة البشرية» عام ١٧٣٩ ، الذي كان قد أعطاه له أستاذه في جلاسجو الفيلسوف: فرانسيس هتشسون (١٦٩٤ ـ ١٧٤٦).

وعندما عاد آدم سميث إلى اسكتلندا ألقى سلسلة من المحاضرات العامة فى الأدب الإنجليزى، وكان الموضوع جديدا تماما، على جمهور يتألف من مائة من المواطنين، دفع كل واحد منهم جنيها إنجليزيا، ثم ألقى فى عام ١٧٥٠ ـ ١٧٥١ محاضرة عامة، فى الاقتصاد، هو موضوع لم يسمع عنه قط فى جامعة أكسفورد ولا فى قاعاتها التى تتظاهر بالتقوى والصلاح، ولقد منحت هذه المحاضرات آدم سميث كرسيا فى جامعة جلاسجو، أولا أستاذاً للمنطق، ثم بعد ذلك أستاذاً للفلسفة الأخلاقية.

وكان أندرو كوشران، رئيس مجلس مدينة جلاسجو، قد أسس لتوه ناديا للاقتصاد، وسجّل سميث عضواً فيه.



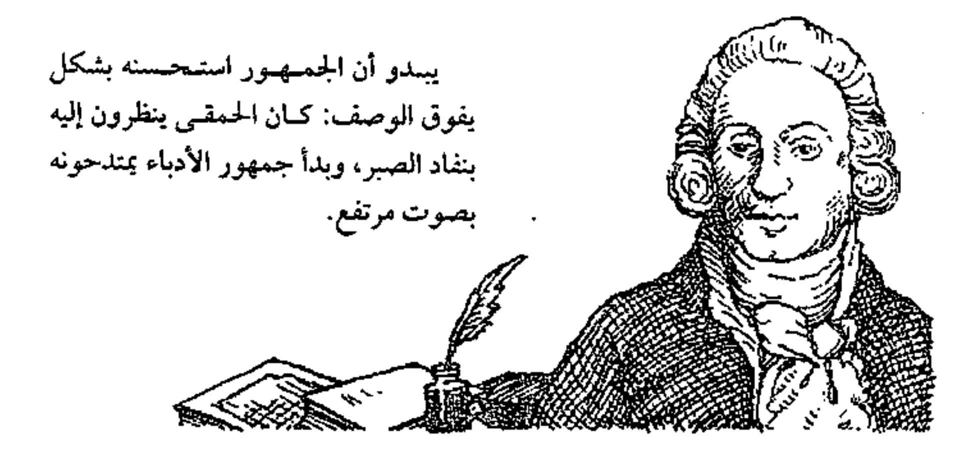
نظرية عن المشاعر الأخلاقية

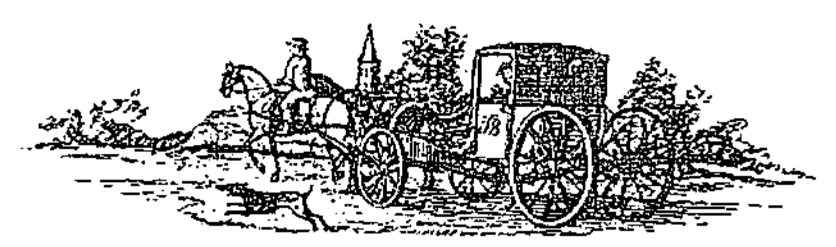
كان أول كتاب لـ «سميث» هو «نظرية عن المشاعر الأخلاقية» عام ١٧٥٩ وهو بحث قانون فى فلسفة الأخلاق: طبيعتها وسيكولوجيتها، وهو يبين طريقة سميث فى التفسيرات البسيطة للمشكلات المعقدة، فهو يصف المشاعر الأخلاقية بأسلوب بسيط من الكلمات . فهناك «رجل داخلى» ومشاهد محايد داخل كل منا يصدر الأحكام على كل ما نفعله من وجهة نظر الآخرين.



كتب ديڤيد هيوم من لندن ليروى نجاح كتاب صديقه.

يبدو أن الجمهور استحسنه بشكل يفوق الوصف: كان الحمقى ينظرون إليه بنفاد الصبر، وبدأ جمهور الأدباء يمتدحونه بصوت مرتفع.





تقاعد سميث من كرسى جامعة جلاسجو لكى يعمل معلما خصوصيا للشاب دوق «بوكلش» وبصفة خاصة ليصحب الدوق فى جولة كبيرة فى أوروبا [١]. وكذلك مقابلة ڤولتير في جنيف، وصديقه ديڤيد هيوم فى باريس، وكان سميث قد قيده فرانسوا كيناى (١٦٩٤ ـ ١٧٧٤) فى المقابل الفرنسى للنادى الاقتصادى السياسى. وكان كيناى طبيب الملك، ويقيم فى فرساى عن طريق مدام دى بمبادور.



ولقد أصبح تلامذة كيناى فى الاقتصاد مشهورين فيما بعد باسم «الفزوقراط» الذين ذهبوا إلى أن الإنتاج ـ وليس التبادل ـ هو الذى يخلق الثروة والفائض المتاح للتراكم. ولقد شعر آدم سميث بأنه فى بيته تماما وواصل العمل فى كتابه الكبير: «ثروة الأمم».

---

(١) Grand Tout: رحلة تعليمية فى أهم أنحاء أوربا كان يقوم بها شباب الأشراف الإنجليز فى القرن الثامن عشر. (المترجم)

ثروة الأمم عام ١٧٧٦

يفتتح كتاب آدم سميث «ثروة الأمم» بمثال شهير عن مصنع دبابيس يقوم فى جلاسجو على أعمال الحديد التى تسمى «مصنع المسامير»، وقد استمتع بزيارته عندما كان طالبا فى المدرسة، ولقد مكّن تقسيم العمل عشرة من العمال من إنتاج ٤٨,٠٠٠ دبوس فى اليوم الواحد.



لم يستحسن سميث تدخل الحكومة فيما رأى أنه الدينامية الطبيعية للعرض والطلب، فالتجارة الحرة هى حجر الزاوية فى الاقتصاد السياسى عنده، ولقد قدم كتابه حججا لاستبعاد التعريفة الجمركية والرسوم، والاحتكارات، وتشجيع مشروعات السوق الحرة من جانب الأفراد، وفى هذه النقاط كان سميث على وفاق مع سياسة «دعه يعمل، دعه يمر» التى دافع عنها الفزوقراط.

اليد غير المرئية

فى تفسير سميث أن علاقات السوق تشجع حرية الأفراد كما تعمل على حرية الأمم، إنه عن طريق تفاعل السوق؛ أى عملية البيع والشراء، يصبح العامل الفقير حرا فى التعاقد على الأجور، وأن يترك الظروف الصعبة ويبحث عن ظروف أفضل.



وسواء أكان العمال كأفراد ـ والطبقة العاملة بالكامل ـ معانون من زيادة فى التعامل النسبى، فإنهم مع ذلك يتمتعون بتحسن مطلق فى مستوى معيشتهم، وعلى ذلك فإنه على الرغم من أنه يقع على عاتق الأفراد السعى لتحقيق مصالحهم الخاصة، فإن النظام يكشف عن وجود يد خفية غير مرئية تقدم مصالح المجتمع، ويتصالح التفاوت الاجتماعى مع مؤن كافية للفقراء.

سميث و روسو

أدرك سميث أن هناك جانبا مظلما فى تقسيم العمل، وبما أن العامل كان محصورا فى بعض عمليات غاية فى البساطة، فلابد له من أن يصبح فى النهاية «غبيا وجاهلا بمقدار ما يمكن للموجود البشرى أن يصبح كذلك». وتفسيره لانتزاع الجانب الإنسانى واضح للغاية كأى تفسير حديث للاغتراب الصناعى.



لو أن الناس اختاروا لظلوا على مسافة من «المنحدر الوعر للمجتمع» عن طريق حكمهم على سلوكهم من منظور الهيمنة للمشاهد غير المتحيز، وبالطريقة التى سبق أن لخصها فى كتابه «نظرية عن المشاعر الأخلاقية».

سميث وروسو يمثلان معا رواية التاريخ البشرى الذى تتشابك فيه الأخلاق والاقتصاد، انتقال الجنس البشرى من البساطة المتوحشة إلى العالم الحديث: عالم الملكية الخاصة والتكلف واللامساواة

لقد تصور سميث «حالة الطبيعة» الأصلية حالةً من الندرة. فالحرية البشرية لا تنتج إلا من التطور التاريخى الحلزونى الذى يؤدى فيه التعاون والتبادل إلى تقسيم العمل وخلق الفائض.



آدم سيمث عن السوق فى الأفكار يقول : «فى المجتمع التجارى أو الثرى فإنه إلى جانب أنه: لكى تفكر أو يظهر الاستدلال فإنه مثل أى وظيفة أخرى: عمل جزئى تقوم به مجموعة ضئيلة جدا من الناس الذين يزودون الجمهور بجميع الأفكار والاستدلال التى تملكها مجموعات هائلة من البشر هى التى تعمل. وهناك فقط جزء صغير جدا من معرفة أى شخص عادى هذا الذى يقوم بالمشاهدة الشخصية والتأمل، أما بقية الأجزاء فقد اشتراها كما يشترى حذاءه أو جواربه من أولئك الذين يصنعونها أو يجهزون للسوق تلك الأنواع الخاصة من السلع».

صاموئيل جونسون (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤)(١)

ولد جونسون ابنا لبائع الكتب فى «ليتشفيلد» ، وكان قارئًا جيدا بالفعل عندما ذهب إلى أكسفورد، إلا أن ضيق ذات اليد اضطره للانسحاب من الدراسة، لكنه تلقى درجة الدكتوراه فى النهاية عام ١٧٦٤ وسرّه أن يصبح «دكتور جونسون».



عمل جونسون وعاش فى غموض نسبى، فقد بدأ حياته من الصفر صحفيا ومترجمًا فى برمنجهام قبل أن يستقر فى لندن عام ١٧٣٧ حيث أصبح فى النهاية شخصية أدبية لامعة، ولقد عمل منذ عام ١٧٤٦ حتى عام ١٧٥٥ فى أكثر مشروعاته طموحا: «معجم اللغة الإنجليزية» الذى كتب فيه هو نفسه أكثر من ٤٠٠٠٠ مادة مدرجة من المعجم، وكان استخدامه المسرف للاقتباسات الأدبية، تجديدا حقيقيا فى «معجم جونسون» ظل مصدر ثقة حتى ظهور معجم أكسفورد للغة الإنجليزية عام ١٨٨٤.



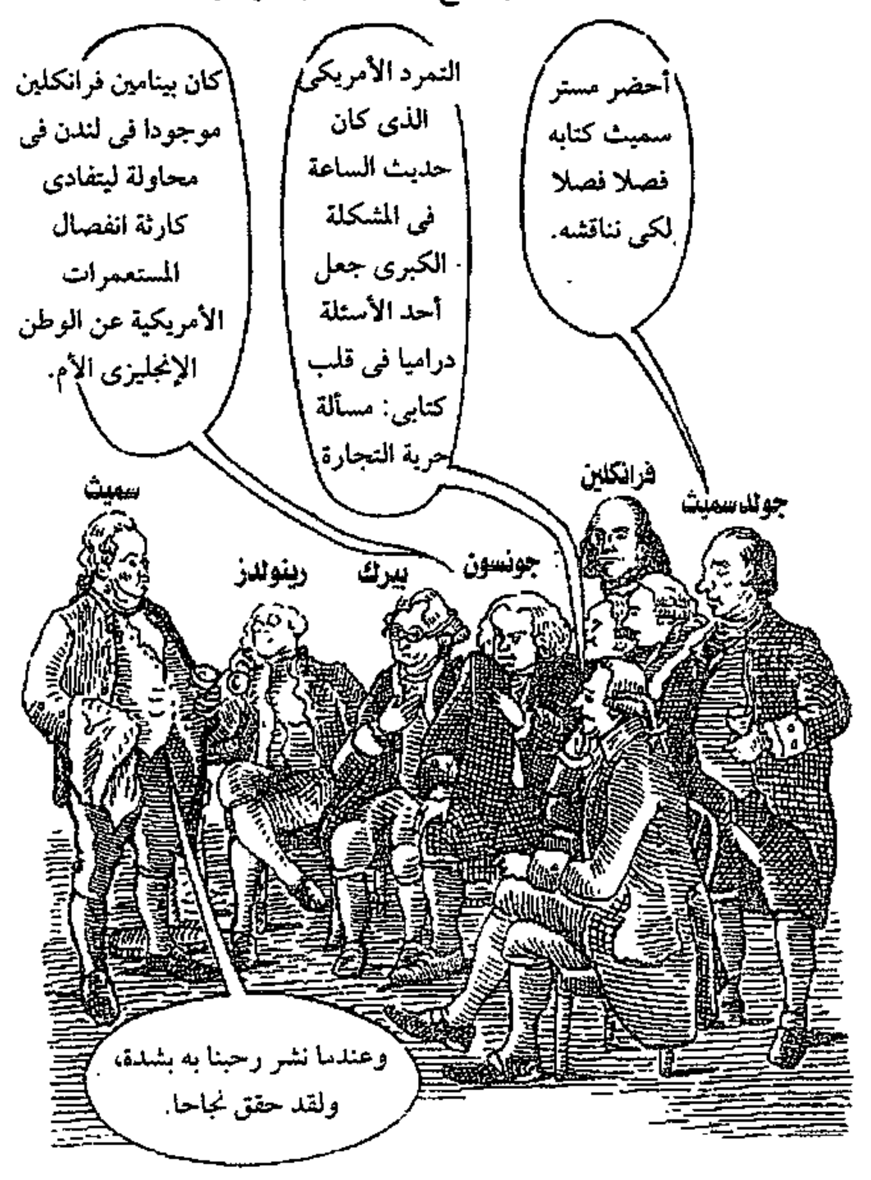
وفى عام ١٧٦٤ أسس جونسون «النادى» الذى نعم فيه بصحبة رجال من أمثال يشوع رينولدز، ورجل البرلمان إدموند بيرك، والكاتب المسرحى أوليڤر جولد سميث.

---

(١) صاموئيل جونسون (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤) : كاتب وشاعر وناقد وصحفى ومعجمى إنجليزى يعرف عادة بـ «الدكتور جونسون» بسبب الدكتوراه الفخرية التى منحته إياها جامعة دبلن (عام ١٧٦٥) وتلك التى منحته إياها جامعة أكسفورد عام ١٧٧٥ ، يعتبر أحد أبرز وجوه الحياة الأدبية فى القرن الثامن عشر، أشهر آثاره معجم اللغة الإنجليزية عام ١٧٥٥. (المترجم)

سميث ينضم إلى نادي دكتور جونسون الأدبي

في ربيع عام ١٧٧٣ ذهب آدم سميث إلى لندن مع ما اعتقد أنه مخطوطة تامة لكتابه «ثروة الأمم» ، وهناك كان يتناول طعام العشاء مع دكتور جونسون، وإدموند بيرك، وإدوار جيبون، وديفيد جاريك، وسير يشوع رينولدز، وأوليڤر جولد سميث.



بنيامين فرانكلين (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠)

كان بنيامين فرانكلين ـ بطريقته الخاصة ـ مثالا نموذجيا لساكن الغابة فى عصر التنوير، «المتوحش النبيل»، علّم نفسه حتى أصبح عالما يهتم بكل شيء. اكتسبت تجاربه فى الضوء والكهرباء أهمية رمزية لعصر استحوذت عليه قوى جديدة فى العلم والتكنولوجيا. لعدة عقود نشر فرانكلين: « تقويم ريتشارد المسكين» تقاطع بين الموسوعة والصحيفة ومجموعة من الأمثولات التى تستهدف مساعدة الإنسان لنفسه والتحسين



لقد كان فرانكلين يُعرف فى صالونات باريس بأنه الفيلسوف التنويرى والعالم الحقيقى حتى قبل أن تصبح الثورة الأمريكية سببا للشهرة والإثارة فى أوروبا.

الثورة الأمريكية

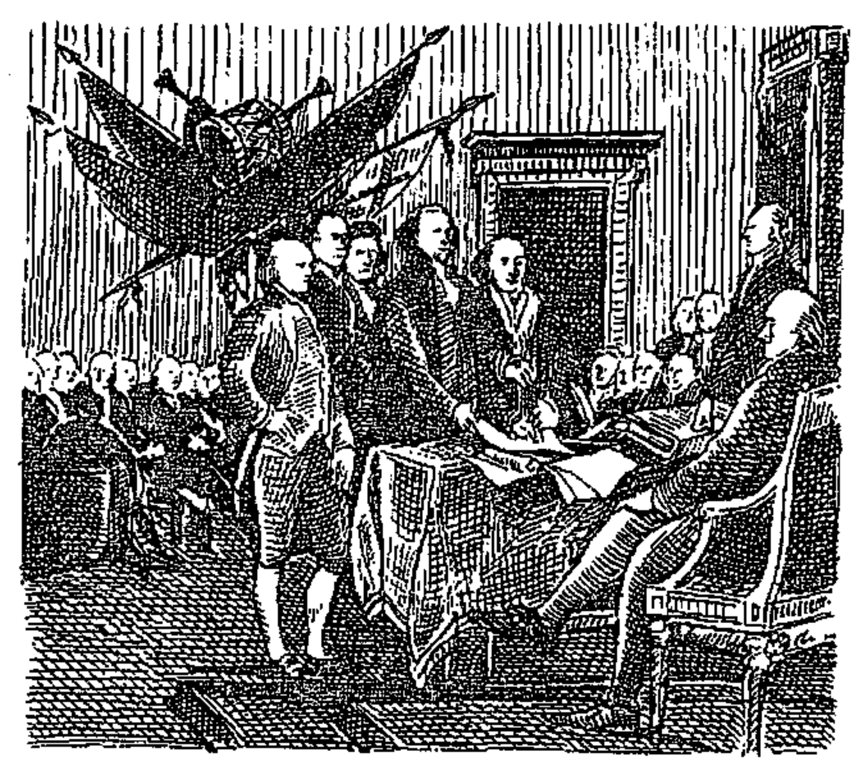
الإيمان بتفاؤل لا حد له فى التقدم وفرص المساواة وجد أرضا خصبة فى أمريكا فى القرن الثامن عشر، التى ظهرت لتجسيد عصر التنوير فى حالة فعل.



إعلان حقوق الإنسان

كان سكان المستعمرات الأمريكية ينظر إليهم على أنهم متمردون مكروهون، ولقد ظلوا لعدة عقود يقدمون التماسات وتوسلات للحكومة الإنجليزية يطلبون منها فقط أن تسمح لهم بالحريات نفسها التي يتمتع بها الرعايا الإنجليز في وطنهم.

ثم في النهاية أشعلوا حرب الاستقلال، وبدأ «إعلان الاستقلال» بصوته المدوِّي، وصياغته التي لا تنسى، بعرض لمبادئ كان جون لوك أول من أكدها في عصر الثورة المجيدة في إنجلترا.



« نحن نؤمن بأن هذه الحقائق واضحة بذاتها وهي أن الناس جميعا ولدوا متساوين وأن الخالق وهبهم حقوقا معينة لا يمكن التنازل عنها، من بينها: الحياة ، والحرية، وحق البحث عن السعادة ».

لم يتحدث چون لوك إلا عن الحياة، والحرية، والملكية الخاصة، لكن فى «أرض الفرص» حتى هؤلاء مع ملكية ضئيلة يمكنهم البحث عن السعادة، وحتى الثوريين الأمريكيين المكروهين كانوا محظوظين، فلم يلتقوا أبدا بمشهد الجوع والجماهير نصف العاطلة، ففى العالم الجديد حتى الفقير كان قادراً على أن يجد تربة صالحة وبالتالى يهرب من البؤس والظلام اللذين كان يعانى منهما الكثيرون من سكان أوروبا. عندما لاحظ بنيامين فرانكلين حالة فقراء باريس، وجد نفسه يفكر كثيرا فى سعادة إنجلترا الجديدة.



فى العالم القديم الذى يسكنه عشرون مليونًا من البشر يوجد تسعة عشر مليونًا أشد بؤسا وأكثر لعنة فى كل ظروف الوجود البشرى من أى فرد بائس فى الولايات المتحدة كلها.

الفقير والعبيد

لم يكن العالم الجديد بلا فقر، فالواقع أن الآباء المؤسسين كانوا مقتنعين بأن التفرقة بين الغنى والفقير تفرقة أزلية . لقد سعوا للقيام بثورتهم وهم يحملون هذا الإيمان، وفيما بعد إبان الثورة الفرنسية، ساعدت مطالب أكثر أجزاء المجتمع بؤسا فى التعجيل بأقصى درجات العنف إبان عهد الإرهاب.



كان توماس جيفرسون هو المؤلف الحقيقى «الإعلان حقوق الانسان» يملك عبيدًا شأنه شأن بقية الآباء المؤسسين، غير أنه أزعجته واقعة الرق فى بلاد تتأسس على حقوق كلية.

كنتُ أرتعد خوفا على بلادى عندما أفكر أن الله عادل أو أن عدالته لا يمكن أن تنام إلى الأبد . التجارة بين السيد والعبد هى الاستبداد، ولم يكتب شيء فى كتاب القدر أشد يقينا من أن هؤلاء الناس ينبغى أن يتحرروا.

إدانة الرق

اتبع ممثلو عصر التنوير المتعددون نموذج مونتسكيو وأدانوا الرق، بوصفه ممارسة لا تليق بالإنسان المتحضر، كما أنها تسير فى معارضة الإيمان المستنير بالجانب الإنسانى المشترك.



غير أن المعارضة المبدأية للرق جاءت أساسا من بين الإنجيليين من الكويكرز، وكذلك المنهجيين أو الأنجليكان[1]، الذين أدانوا الرق واعتبروه خطيئة، وفى عام ١٧٨٧ ظهرت جمعية إلغاء الرق فى بريطانيا، ثم تبعتها بعد عام جمعية أصدقاء السود فى فرنسا.

(١) الإنجيلى: هو الواعظ البروتستانتى، والميثوديون أو المنهجيون: طائفة بروتستانتية، أما الأنجليكان: فهم أتباع كنيسة إنجلترا. (المترجم)

دفاع عن الرق

كان الدفاع عن الرق فى جميع قطاعات المجتمع أكثر شيوعا عما يمكن أن يعترف به - بصفة عامة - چيمس بوزويل. بعد روايته لمعارضة صموئيل جونسون للرق، رجا أن نترك حتى الآن «احتجاجه الخاص الرهيب ضد نظريته العامة فى احترام تجارة الرق».

إلغاء وضع صادق عليه الله فى كل العصور وواصله الإنسان لن يكون سرقة فحسب لطبقة لا حصر لعددها لزملائنا من الرعايا، بل ستكون قسوة متناهية للمتوحشين الأفارقة، سيوفر على جزء منهم مجزرة أو عبودية لا تحتمل فى وطنهم هم، ويدخل فى حالة أكبر من السعادة فى الحياة لا سيما عندما ينقلون إلى الهند الغربية ويعاملون معاملة إنسانية.



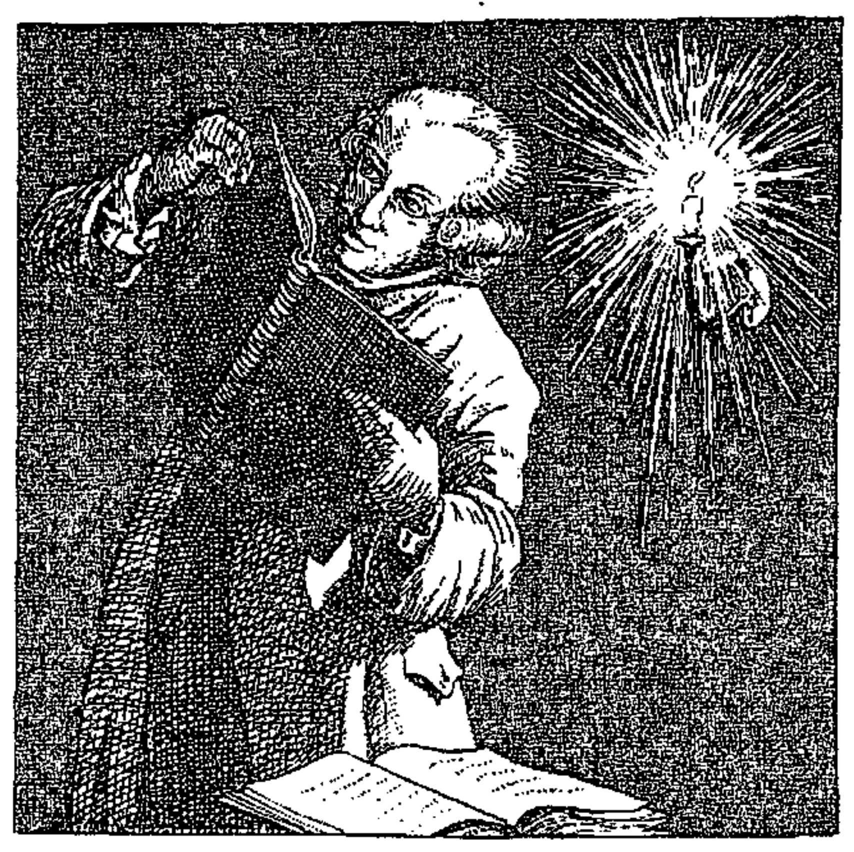
إمانويل كانط (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤)

جاء عصر التنوير فى ألمانيا متأخرا لكنه أنتج عمالقة فى الفلسفة من أمثال إمانويل كانط، الذى بدأ بتراث الميتافيزيقا من ذلك النوع الذى رفضه فلاسفة التنوير الفرنسيين من الناحية التجريبية. عرض كانط آراءه فى كتابه الرئيس «نقد العقل الخالص» عام ١٧٨١ الذى ينظم حدود المتيافيزيقا ويزودنا بأساس نقدى لنوع من المعرفة نستمده من العلم الطبيعى.



كافح كانط لحل التوتر الذى أدى إلى الفُرقة بين روسو والموسوعيين، إلا أن هذا التوتر ظل واضحا فى تفرقة كانط المطلقة بين ما يمكن لنا معرفته علميا ـ عالم الظواهر أو الظاهريات ـ والعالم الداخلى أو النيومين: عالم القانون الخلقى.

كان التزام كانط بالعقل، وبالسلام، وبالتقدم، وبمجموعة كاملة من البحوث قد وضعه فى صف واحد مع القادة من فلاسفة التنوير، لكن ما يميز كانط كفيلسوف ألمانى بشأن مؤلفاته النقدية، ويجعله معارضا تماما لروح فلاسفة التنوير، هو طموحه لخلق مذهب فلسفى كامل تام وشامل. لقد اعتقد كانط ـ نتيجة لنبذه كل نتائج الميتافيزيقا السابقة ـ أن الحقيقة أصبحت الآن هدفا يمكن بلوغه «قبل نهاية القرن الثامن عشر».

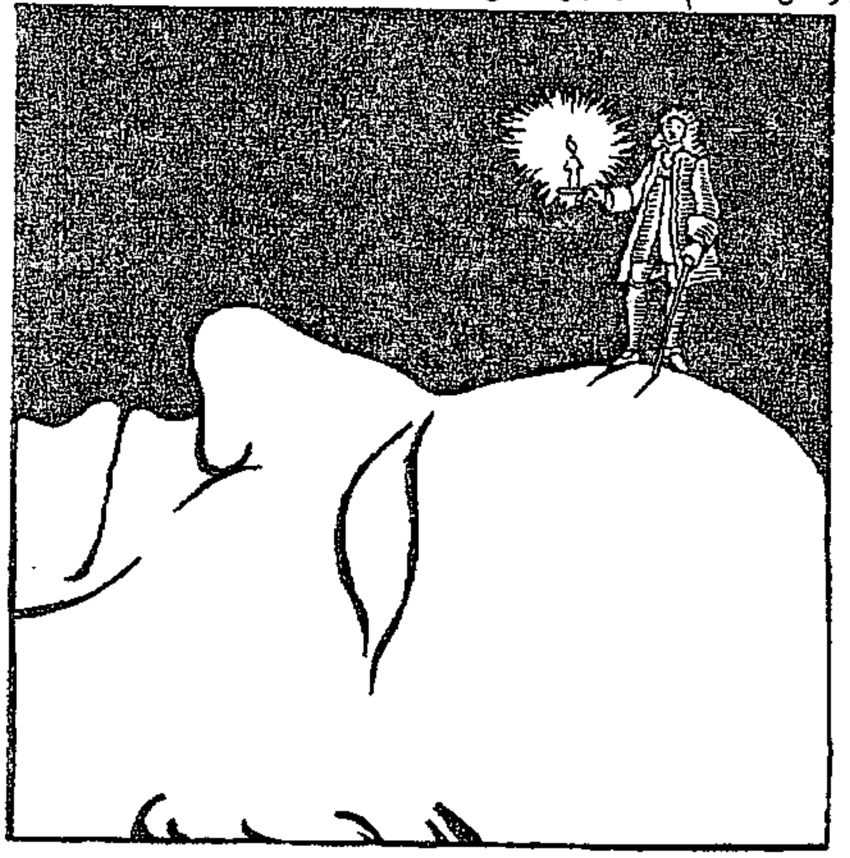


الطريق النقدى هو وحده الذى لا يزال مفتوحا، وإذا كان لا يزال لدى القارئ الرقة والصبر ليسير بصحبتى فى هذا الطريق فإنه الآن قادر على أن يحكم ما إذا كان.. ما لم تستطع إنجازه قرون عدة يمكن الآن بلوغه قبل نهاية القرن الحالى؛ أعنى إعطاء العقل البشرى الرضا التام عما كان باستمرار يشغل فضوله لكنه ظل حتى الآن عبثا.

ما المقصود بعصر التنوير؟

فى عام ١٧٨٤ كان عصر التنوير قد بلغ مائة عام من عمره، وقد سألت إحدى المجلات الألمانية قراءها الإجابة عن هذا السؤال وهو: ما المقصود بعصر التنوير؟ أو ما التنوير؟ وكانت هناك إجابات متعددة من قادة الثقافة فى ألمانيا، ومن بينهم كانط الذى أصبح الآن شهيرًا كأستاذ للفلسفة [١].

التنوير هو خروج الإنسان من قصوره الذى اقترفه فى حق نفسه، وهذا القصور هو عجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر.



(١) نشر قسيس بروتستانتى مغمور مقالا فى «مجلة برلين الشهرية» تساءل فيه عن معنى التنوير، وانبرى الفيلسوف اليهودى موس مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) للرد عليه بمقال «حول السؤال: ما التنوير؟» ثم نشر كانط مقاله الذى يشير إليه المؤلف قبل أن يطلع على مقال صديقه مندلسون، راجع فى ذلك كله ترجمة مقال كانط: ما التنوير؟ فى الكتاب التذكارى للدكتور زكى نجيب محمود الذى أصدرته جامعة الكويت عام ١٩٨٧. (المترجم)

«تشجع واعرف! فلتكن لديك الشجاعة لاستخدام عقلك»، هذا هو شعار كانط لعصر التنوير، وكلمات كانط تلخص رؤية يشاركه فيها العديد من القادة المثقفين ومن الباحثين والعلماء فى القرن الثامن عشر. ثم استمر ليسأل: ما نوع القيود السياسية التى تشكل عقبة أمام التنوير؟

إن الاستخدام العام لعقل المرء لابد من أن يكون حرا على الدوام، وهو وحده الذى يمكن أن يكون مستنيراً بين البشر.



معارضة عصر التنوير

كان نجاح عصر التنوير عظيما، حتى أنه يصعب أن تجد شخصا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر لا يشارك فى آفاقه ولا فى تحاملاته. لم يأت ردّ الفعل لثقة عصر التنوير فى العقل من الديانة الأرثوذكسية وحدها، بل أيضا من أحلام «السكر الإلهى» عند أشخاص مثل «هامان » أو «بليك» اللذين كان لهما تأثير دائم حتى ولو كان من تحت الأرض.

لم يكن هناك أحد أشد شراسة فى معارضته لعبادة العقل المنتشرة فى ذلك الوقت من وليم بليك (١٧٥٧ ـ ١٨٢٧) [١]، كان بليك متحمسا للثورة الفرنسية بقدر ما كان قلقا من الثورة الصناعية، ولقد فضح «طواحين الظلام الشيطانية» والبؤس البشرى الذى يعانى منه جماهير العمال الذين تكتظ بهم المصانع. وفى عام ١٧٨٩ ـ وهو العام الذى نشبت فيه الثورة الفرنسية ـ نشر وليم بليك «زواج الجنة والنار» وهو كتاب شعر يعارض الحكمة العقلية.



(١) شاعر ورسام ومتصوف إنجليزى، غلبت الرمزية على آثاره وبخاصة المتأخرة منها. أشهر أعماله الشعرية «أغانى البراءة» عام ١٧٨٩ ، و«أغانى الخبرة» عام ١٧٩٤. قام بعمل رسومات مائية ملحمة دانتى «الكوميديا الإلهية » عام ١٨٢٥ . (المترجم)

ولقد ردَّ بليك بعنف ـ في تفسيره «المقالات» سير يشوع رينولدز ـ على معالجة عصر التنوير للخيال، ففي رأي بليك أن رينولدز أسس نفسه على بحث إدموند بيرك عن «الجليل» الذي يقوم بدوره على أساس فلسفتي فرانسيس بيكون وجون لوك.



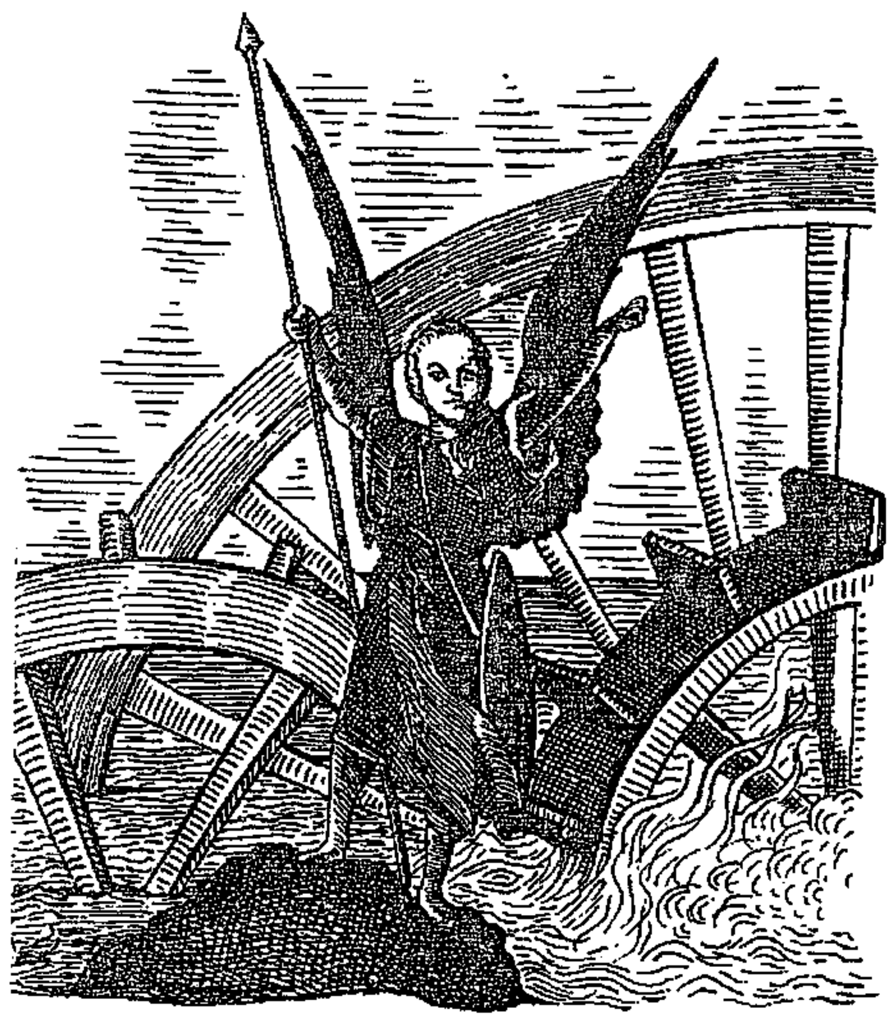
«سخروا من الإلهام والرؤيا، وهما كانا موجودين وهما الآن كذلك، وآمل أن يظلا كذلك أيضًا عنصري، وموطني الذي أعيش فيه للأبد... حماسي هو كل شيء.

لقد دمرت فلسفة بيكون إنجلترا، كما دمرت الفن والعلم.

اللهم احفظنا..

من الرؤية الواحدة ومن غفوة نيوتن!».

وليم بليك: من رسالة إلى توماس بطس. في ٢٢ نوفمبر عام ١٨٠٢.



في لغة رؤاه الكاشفة للغيب شخَّص بـليك المجتمع بأنه مجتمع الآلات الذى ردت أفكاره المادية والحتمية الإنسان إلى مجرد آلة.

كلما أدرت عينى فى مـدارس وجامعـات أوروبا، رأيت نول لوك لحمته الغضب والكآبة تغسله دواليب الماء لنيوتن: نسيج أسود فى سحابة كثيفة من الدخان تطوق كل أمة، رأيت أعمالا قاسية تقوم بها كل عجلة، بدون عجلة، تروس العجلة، حركة قاسية حيث تضغط كل منها على الأخرى...

چورج هامان (١٧٣٠ ــ ١٧٨٨)

فى عام ١٧٦٨ وفى مـدينة كونجسبـرج، وفى حديقة التاجـر الإنجليزى مستـر جرين، قال كـانط إن علم الفلك قد بلغ تلك الدرجـة من الكمال التى تجعل من غـير الممكن أن يتقبل افتـراضات جديدة. إن كانط الذى كانت عقليته تـرتاح للنظام يمكن أن يقبل واقعة أن العلم يبدو أنه انغلق على هذا النحو.

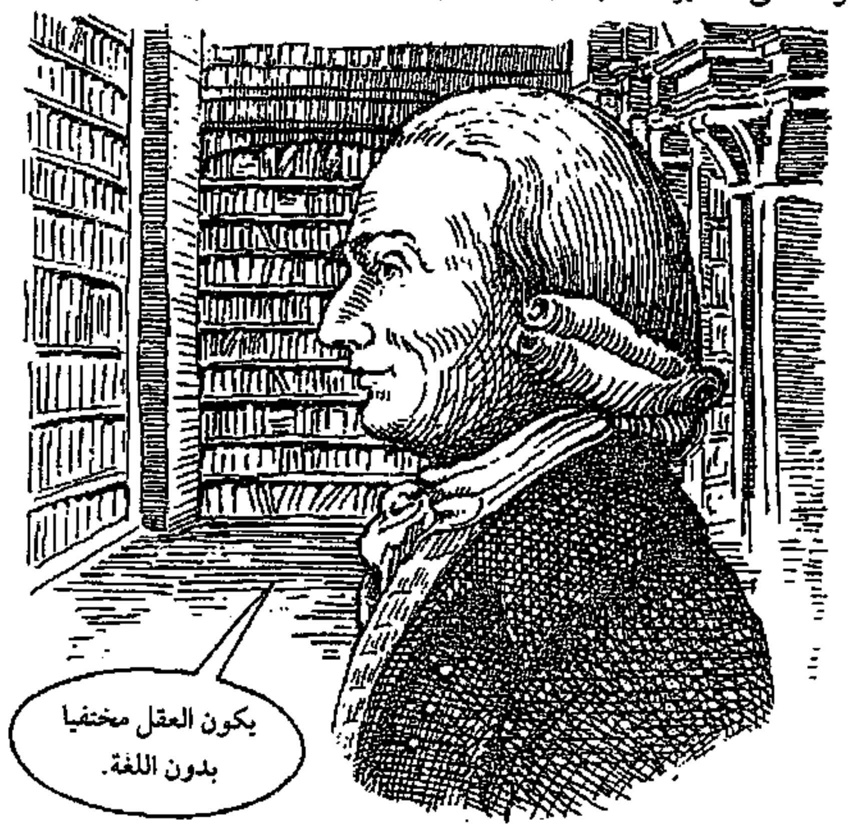


إننى أنظر إلى أفـضل برهان فى الفلسفة عـلى أنه أشبه بالفـتاة الرشيـد التى تنظر إلى الخطاب الغرامى بلذة لكن بريبة.

اللغة، أورجانون[1] العقل

فى حين أن بليك كان غاضبا من الطريقة التى هبط بها عصر التنوير فى تقديره للخيال، فإن هامان قد اعتقد أن عصر التنوير جعل من نفسه سخرية عندما تغاضى عن دور اللغة.

كل حديث عاطل عن العقل هو قبض الريح، فليست القدرة على التفكير كلها متوقفة على التفكير فحسب، وإنما اللغة هى أيضًا، مركز سوء الفهم للعقل مع نفسه.



أنا على وشك الظن بأن فلسفتنا بأسرها تحتوى على قدر من اللغة أكثر من العقل، وسوء الفهم للعديد من الكلمات، ولقد خلق تشخيص التجريدات التعسفية عالما كاملا من المشكلات حاولت عبثا حله على نحو ما خلقته.

(١) الأورجانون Organon ؛ أى الأداة أو الوسيلة أو الطريقة. (المترجم)

العاصفة والاندفاع

على الرغم من تشجيع فردريك الأكبر ملك روسيا، فإن عصر التنوير فشل فى أن يتقدم فى عملية الترقيع فى الإمارات التى تتحدث اللغة الألمانية. قادته مجموعة من «الشباب الغضاب» الذين ابتكروا بدعة جديدة للاحتجاج العاصف والانفعال الكثيف، وهى التى تعرف اليوم باسم «العاصفة والاندفاع» بعد مسرحية «الاضطراب أوالعاصفة والاندفاع» التى كتبها فردريش كلنجر (١٧٥٢ ـ ١٨٣١) عرف باسم عصر العبقرية افتتحه بكتابه «المذكرات السقراطية »عام ١٧٥٩، لم يزدهر إلا لفترة قصيرة فى السبعينيات.



مزقنى العذاب أشلاء وهو يمكن أن يغمر أى إنسان آخر، كنت أود فى كل لحظة أن أطرح الإنسانية وجميع الكائنات الحية، وأن أنفخ فى العماء ليلتهم كل شىء، وأن ينقض علىَّ بعدها.

القصة العظيمة « للعاصفة والاندفاع» هي قصة «آلام الشاب ڤرتر» عام ١٧٧٤ـ التي كتبها جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) ـ فالبطل المكتئب الذي مارس الانتحار، الشاب ڤرتر، يكتس بقدمه كل أوروبا المتعلمة!

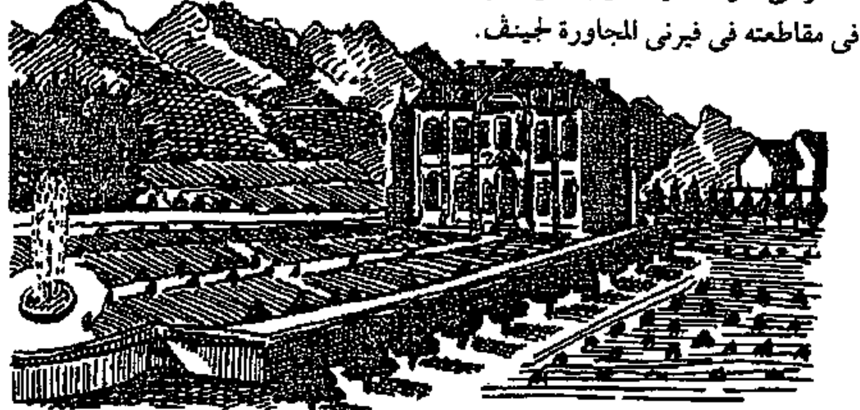


هذه القصة، بل الحركة ككل قد تأثرت بعمق بروسو، فقد احتقر شباب هذه الحركة عقلانية فلاسفة عصر التنوير وتبنوا أخلاق وديانة الطبيعة عند روسو.

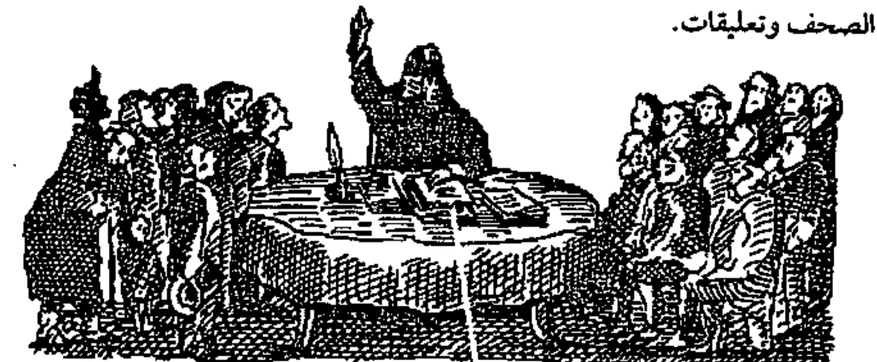
وعندما كبر الممثلون «للعاصفة والاندفاع» في السن، أصبحوا عمالقة الكلاسيكية الألمانية، وأصبح الجيل الأصغر من الكتاب (الذين اشتركوا في الحلقات نفسها) الرومانسيين الألمان.

ڤولتير في فيرني

الاستثمارات المالية الحكيمة لڤولتير ونجاحه ككاتب جعلاه رجلا فاحش الثراء، لقد استقر في فرنسا مرة أخرى لكن قرب الحدود استعدادا للهرب السهل، فبنى قصرا أنيقًا في مقاطعته في فيرني المجاورة لجينف.



كان ڤولتير ابتداء من عام ١٧٦٠ يعقد جلسات في قصره، فأصبح موضع حب استطلاع أوروبا، و الأماكن التى لابد من زيارتها في الرحلة حول عواصم أوروبا التى يقوم بها الشاب المثقف ،ولقد واصل ڤولتير ـ في سبيل تغيير المجتمع ـ قذف الجمهور بالكتب الرخيصة الصغيرة التى تحتوى على خطب لاذعة، وبحوث، ومقالات في الصحف وتعليقات.



إن عشرين صفحة من المجلدات لا تستطيع أن تحدث ثورة، مع أن الكتب الصغيرة هي التى يخشى منها وهى الكتب التى توضع في الجيب، الكتب التى يسهل حملها، والتى تباع بثلاثين سو [١] ولو أن الأناجيل كانت قد بيعت بـ ١٢٠٠ سسترس [٢] ما كان يمكن للديانة المسيحية أن تنتشر.

(١) السو Sou : عملة فرنسية قديمة ضئيلة القيمة . (المترجم)

(٢) السسترس Sesterce : عملة رومانية قديمة . (المترجم)

رجل واحد: منظمة عفو دولية

ولقد وصل إلينا حوالى ١٥ مليون كلمة مما كتبه ڤولتير وهى كافيه لعمل عشرين نسخة من الكتاب المقدس، ولقد قيل عن ڤولتير إنه أكثر من أن يكون رجلا من رجالات الأدب؛ فهو من ناحيته يختلف عن مونتسكيو، وديدرو، ورسو الذين اكتفوا بتنوير وإشعال عقول الناس من خلال كتاباتهم فحسب.



عندما علم ڤولتير أن هناك أقنانا يعملون فى مقاطعات قريبة من مقاطعته شن حملة لتحريرهم. على الرغم من حملته المستمرة لصالح حرية التعبير والتسامح الدينى، فإن ڤولتير لم يكن مصلحًا اجتماعيا، لقد تبنى قضايا فردية خاسرة فدافع عن أى فرد يعتقد أنه كان ضحية ظلم، أو بتعصب أعمى دينى أو أحكام مبتسرة. ولقد كتب أحد المعجبين يقول إن موقف ڤولتير يمكن تلخيصه على النحو التالى: «إننى أستهجن ما تقول ولا أوافق عليه، لكنى سوف أدافع حتى الموت عن حقك فى أن تقوله».

لقد تساءل ڤولتير: «ماذا يعنى أن تكون حرا؟ إنه يعنى أن تستدل استدلالا صحيحا، وأن تعرف حقوق الإنسان، وعندما تعرفها جيدا فسوف تدافع عنها».

الرعاع

هناك موضوع واحد تذبذب فيه ڤولتير مثل غيره من فلاسفة التنوير - وهومعالجة الجماهير. لقد قدمت كتابات ديدرو مقتطفات كئيبة عن موضوع الغوغاء كحقيقة من حقائق الحياة، ولن تجد أحدا يواجه - دع عنك أن يواجه المشكلات التى أثارتها النظرية السياسية عن طريق أخطار وفرص «التعليم». كتب ديدرو يقول - فى رسالة إلى صوفى ڤولاند فى ٣٠ أكتوبر عام ١٧٥٩ : « الشعب أحمق جدا فى تصرفاته، غليظ القلب للغاية، بائس للغاية ، مشغول جدا عن أن ينير نفسه». وتحت مادة «الموسوعة» فى الموسوعة ذاتها كان هناك مكان إستراتيجى ليكتب ديدرو مثل هذه الملحوظة:

«الجموع الغفيرة من النوع لم تخلق لتتابع ولا لتعرف مسيرة الروح البشرية.

أكثر من نصف العالم الصالح للسكنى لا يزال تسكنه حيوانات تسير على قدمين تعيش فى ظروف مرعبة تقترب من حالة الطبيعة.. تعيش وتموت عمليا دون أن نعرفها».



ولم يستطع ڤولتير أن يتنبأ بأن هؤلاء «الرعاع» «الغوغاء» - بما تحمله من سخط عميق، وأنصاف المتعلمين، الذين طردهم عام ١٧٦٧ سرعان ما ينسلون طبقة «اللامتسرولون»(١) وهم الجمهوريون المتطرفون فى أثناء الثورة الفرنسية.

(١) اللامتسرولون Sans - Culottes : تعبير استخدم أيام الثورة الفرنسية ليصف أبناء الطبقة الدنيا من الجمهوريين الفرنسيين المتطرفين . (المترجم)

أزمة في النظام القديم

عندما اعتلى الشاب لويس السادس عشر العرش في عام ١٧٧٤ كان أول شخص يقوم بتعيينه هو فيلسوف التنوير آن روبير چاك تورجو (١٧٢٧ ـ ١٧٨١)[1] الذي كانت له مهام متميزة في الخدمة العامة، فقدطوّر تورجو برنامجا للإصلاح الاقتصادي.

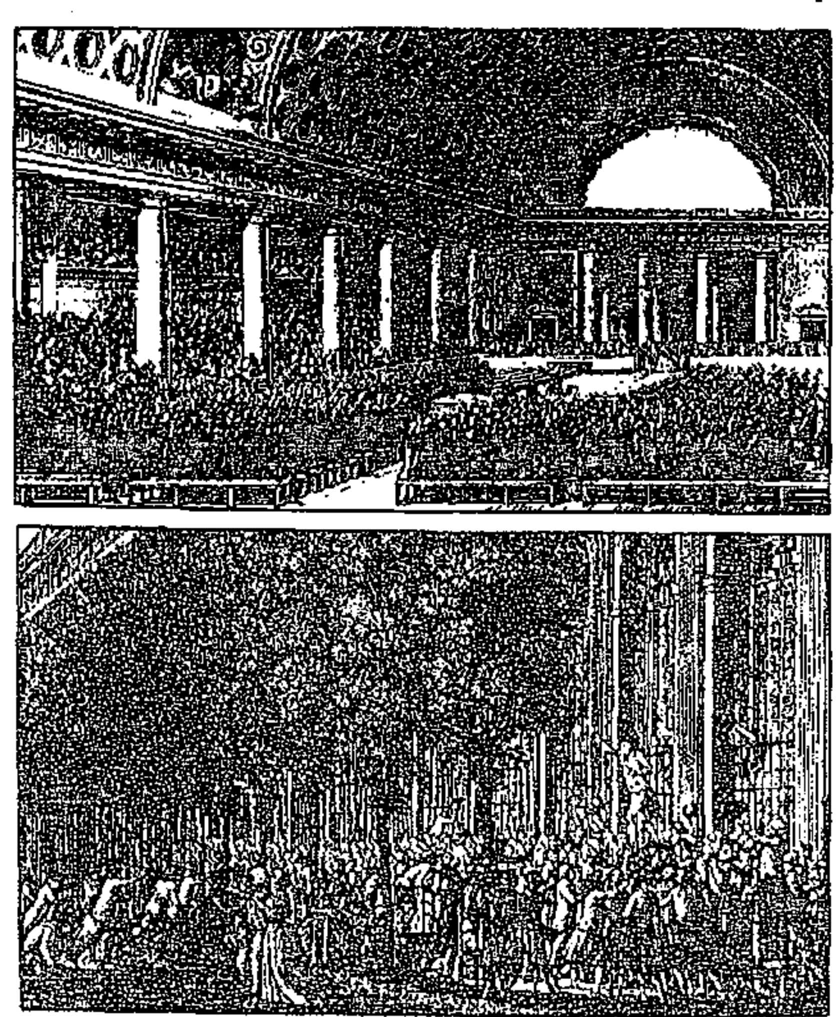


بعد أقل من سنتين أعفي تورجو من منصبه ،وأصيب فلاسفة التنوير بالهلع، ولجأوا بعد نصف قرن إلى النقاش والنقد لتغذية روح الإصلاح، لكن حتى أمثال هذه الشخصيات المحترمة والخبيرة مثل تورجو لم تستطع أن تبقى في معارضة القوى الرجعية الراسخة، وكما قال ڤولتير «إن إقالة مثل هذا الرجل العظيم: تورجو، صدمتني، ولم أتابع الأحداث منذ ذلك اليوم المميت أو أسأل أي إنسان عن أي شيء، وانتظرت صابرا من سيأتي ليقطع رقابنا».

(١) آن روبير چاك تورجو (١٧٢٧ ـ ١٧٨١): سياسي وعالم اقتصاد فرنسي ووزير المالية (١٧٧٤ ـ ١٧٦٠) في عهد الملك لويس السادس عشر، يعتبر أحد أبرز زعماء مدرسة الفزيوقراط التي دعت إلى إلغاء القيود المفروضة على الاقتصاد، حاول إصلاح الاقتصاد الفرنسي بتشجيع الصناعة وإطلاق حرية التجارة ومقاومة الاحتكارات، وقف ضده الأرستقراطيون فأقاله لويس السادس عشر. (المترجم)

الثورة الفرنسية

فى عام ١٧٨٩ ـ وفى محاولة يائسة لمعالجة الأزمة المالية ـ اضطر لويس السادس عشر إلى استدعاء مجلس طبقات الأمة، وهو مجلس وطنى يمثل ثلاث طبقات فى المجتمع الفرنسى: طبقة رجال الدين، وطبقة النبلاء، وعامة الشعب، ولم يكن هذا المجلس قد اجتمع منذ ١٧٥ سنة. ودارت مناقشات حامية حول كيفية قيام المجلس بمهامه أدت إلى غليان شعبى وفى النهاية إلى قيام الثورة، وقد انشق ممثلو العامة ليشكلوا «الجمعية الوطنية».



وفى ١٤ يوليو عام ١٧٨٩ هاجمت الحشود الباريسية الغاضبة سجن الباستيل. ومع نهاية شهر أغسطس كانت الامتيازات الإقطاعية التقليدية قد ألغيت وأصبح «إعلان حقوق الإنسان والمواطن» قانونا، كما أعلن أن الحقوق الطبيعية للإنسان مقدسة ولا يمكن التنازل عنها، ومنها: «الحرية، والملكية، والأمن، ومقاومة الظلم والقهر».



وفى إعلان حقوق الإنسان سجلت المثل العليا لعصر التنوير وقدّمت إلى العالم، وظلت فرنسا للسنوات العشر القادمة تعانى من العنف الثورى مما اضطرها إلى أن تدافع عن نفسها ضد هجمات بعثة دول أوروبا. وكان اعتلاء نابليون للسلطة عام ١٧٩٩ يعنى أن الثورة، ومعها كل تراث عصر التنوير، قد تعرضت للهجوم والاعتداء.

نهاية عصر التنوير

قلة قليلة من فلاسفة التنوير الذين خلقوا عصر التنوير عاشوا أو رأوا الثورة الفرنسية، غير أن الثورة قام بها شباب أصغر سنا، أما صورتها المتطرفة فقد قام بها قادة من اليعاقبة من أمثال: مكسيمليان روبسبير (١٧٥٨ ـ ١٧٩٤)، ولويس أنطوان دى سان جوست (١٧٦٧ ـ ١٧٩٤)، مهندسا عهد الإرهاب (١٧٩٣ ـ ١٧٩٤) اللذان اعتبرا نفسيهما وكلاء لجان چاك روسو.

فى خطبة له فى مايو ١٧٩٤ شرع روبسبير يأخذ بثأر روسو من فلاسفة التنوير المتكلفين، الذين تكاتفوا لاضطهاده.



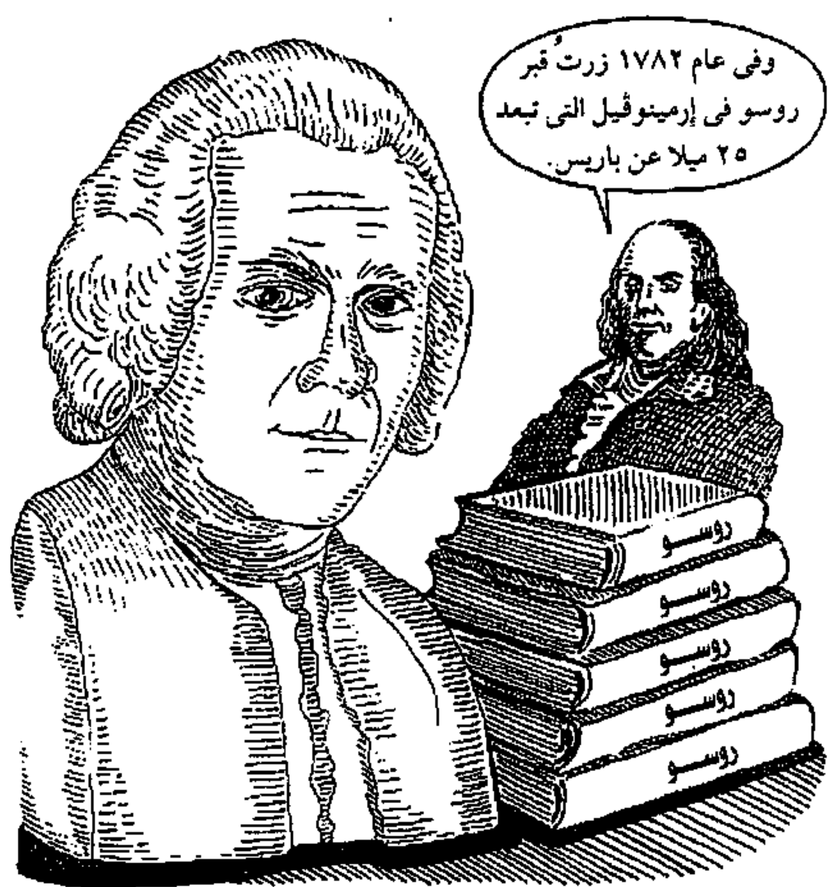
لقد كتب روسو عن الفضيلة بوصفها «العلم الجليل للروح البسيطة» وهو يفتتح كتاب «إميل» بهذه الكلمات: «كل شىء حسن إذا ما ترك كما صنعته يد الخالق، وكل شىء تفسده يد الإنسان».

---

(١) سان جوست (١٧٦٧ ـ ١٧٩٤) : أحد قادة الثورة الفرنسية كتب ـ دعما للثورة ـ كتابه: «روح الثورة ودستور فرنسا» عام ١٧٩١ ،كان عضوا فى «لجنة الأمن العام» (١٧٩٣ ـ ١٧٩٤) وصديقا حميما لروبسبير، قبض عليه معه وأعدما بالجيولوتين ـ المقصلة. (المترجم)

تأليه چان چاك

بعد وفاة روسو ـ عام ١٧٧٨ ـ بقليلٍ سرعان ما اكتسب روسو هالة الخلود وهو الذى كان يتحاشاه الكثيرون إبان حياته؛ وتمّ تشييد تمثال له فى جنيف، وفى عام ١٧٨١ جمعت مجموعة من الألحان التى كتبها روسو وأهدتها أرملته إلى ملجأ اللقطاء، وكان من بين المشاركين فى الاكتتاب الملكة مارى أنطوانيت وبنيامين فرانكلين.



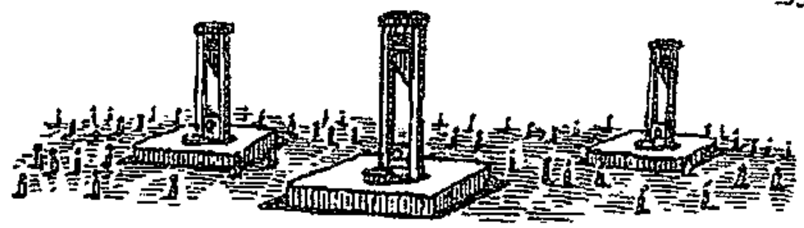
إيمان روسو بجنون العظمة واعتقاده فى الاضطهاد أثار حفيظة فلاسفة التنوير الغيورين . هذا الشعور جعل العديد من الكتاب يشعرون بالاغتراب ويعتقدون أنهم لم يقدروا من الهيئات الأدبية الباريسية ولقد أصبح روسو إلها عند أنصاف المتعلمين، وعلى وجه التحديد عند روبسبير وغيره من المتطرفين الراديكاليين. كان روسو إبان حياته هائما على وجهه، يعامل معاملة سيئة، يتجنبه الناس، ثم أصبح فجأة نبيهم وسلواهم.

الجمهورية المثالية

بعد مرور عام على سقوط الباستيل - وفى أثناء الاحتفال بعيد ١٤ يوليو عام ١٧٩٠ - حُمل تمثال نصفى لچان چاك روسو متوجًا بالغار، فى استعراض فى شوارع باريس تحمله وترعاه ٦٠٠ فتاة بالفساتين البيضاء وفرق من رجال الحرس أسلحتهم أكاليل من الزهور... وفى شهر أكتوبر نقل رفاته من إرمنوڤيل لكى يدشن فى «البانثيون».. Pan-théon (١).



امتزج العمل السياسى بالنقاش العام فى عملية، على الرغم من أن فلاسفة التنوير لم يتنبأوا بها فإنها كانت من إلهامهم، إلا أن الحرب تهددت الثورة من الخارج، كما تهددتها من الداخل مطالب الفقراء الغاضبة. وسرعان ما أصبح كل مبدأ خاضعا للبقاء القومى، وأدخلت الجمهورية مبدأ حق الانتخاب الديمقراطى، ففرضت ضوابط ثمينة على اهتمامات الفقراء؛ خاصة فى المدن، وأطلقت العنان لعهد الإرهاب ضد «أعداء الجمهورية».



(١) ضريح خاص بعظماء الأمة فى باريس. (المترجم)

على الرغم من تطرف تحليلاته الفلسفية؛ فإن روسو كان أى شيء إلا أن يكون ناشطا سياسيا؛ فقد كان يخشى الاضطرابات السياسية التى تنبأ بها، لقد رأى روبسبير وسان جوست اللذان اعتقدا أنهما مخلصان لروسو أن فرنسا الثورة هى تجسيد للمدنية المثالية المكافحة فى أحلام روسو ، ولقد أصبحت الجمهورية المكافحة بالفعل موضع المجتمع الأخلاقى الجديد.



فى الفترة من أبريل إلى يونيو عام ١٧٩٤ كانت المحكمة الثورية قد أدانت ١٤٠٠ من الشعب وحكمت عليهم بالإعدام عن طريق الجيلوتين (المقصلة).

مشروع عصر التنوير: انتهى أم لا..؟

مبادئ عصر التنوير فى النظام والتقدم والثقة فى إمكان التحكم فى الطبيعة والتاريخ، والثقة فى الحس المشترك والطبيعة البشرية العامة يمكن أن يوضع على نحو يخلق تضليلاً فخورا حقا بل حتى خطرا. لقد رسم القرن التاسع عشر صورة كاريكاتورية لقضية المذهب الرومانسى والثورة، لقد شهد عصرنا ـ عصر ما بعد الحداثة ـ انهيار «الحكايات العظيمة» ـ حسب ما تقول الكلمات الشهيرة لجان فرانسوا ليوتارد ـ التى دفنت المبادئ المكتسحة، هل انتهى مشروع عصر التنوير أم ليس بعد؟!

لقد مرت الثورة الفرنسية بتجارب عبر أوروبا بوصفها أعمق وأعظم أزمة عقلية وروحية، لقد حل صراع وانقسام محل الإحساس بالغرض المشترك الذى كان يتميز به مثقفو عصر التنوير، لقد كانت لحظة القطيعة روحية (ومنسجمة) فى المذهب الرومانسى (وفى فلسفة هيجل) لقد ناصر القرن التاسع عشر «الحكايات العظيمة» بمحاولاته إعادة خلق متصل للتقدم التدريجى، فى النماذج العلمية الجديدة للمذهب الوضعى، والمذهب الاشتراكى، والمذهب التطورى التى اعتقد حقا أنها «حديثة».

لقد عرّف رجالات عصر التنوير أنفسهم بأنهم «محدثون» وكانوا أول مَنْ اكتشف بالتفصيل ماذا يعنى ذلك ، لقد كانت حداثتهم ساذجة فيها براءة الطفولة، ومن ثورة ١٧٨٩ إلى الثورات البيضاء عام ١٩٨٩ ـ عبر قرون الاستغلال والغزو الاستعمارى ـ ظلت الحداثة متشابكة على نحو مؤلم بالدم والرعب، فلا عجب أن حاول المثقفون فى العقود الحديثة إعادة خلق الإحساس بالبراءة والمزاح بأن أطلقوا على أنفسهم اسم: «ما بعد الحداثة»..

«عصرنا ليس عصر استنارة، بل عصر المذهب الأصولى، والخرافة والكلية، كما أن الخوف ـ فيما يبدو ـ قد اكتسب أرضا، لكننا مازلنا جميعا أبناء لعصر التنوير، وربما كان موقفنا أكثر تعقيدا ومصادرنا العقلية أشد نقاءً لكننا نواجه أزمات ربما كانت مألوفة لشخص مثل ديدرو، أو شخص مثل ڤولتير أو روسو، ولكن أن يكون ديدرو وحده ومعه الآخرون على يقين من أن المرء يمكن أن يجرؤ على مواجهة الأسئلة والاعتماد على قدرات المرء على التأمل والتفكير، وأن يكون على استعداد لإعادة التفكير فى كل شىء.

Educational, Basingstoke 1990). Dena Goodman's *The Republic of Letters* (Cornell UP, Ithaca & London 1994) gives a cultural history of the French Enlightenment.

سير ذاتية

Diderot has two prize-winning biographies: by A.M. Wilson (Oxford UP, New York 1972) and P.N. Furbank (Secker & Warburg, London 1992). There are shorter biographies by Peter France (Oxford UP, Oxford 1983) and Otis Fellows (G.K. Hall, Boston, Mass. 1977), and a selection of Diderot's *Letters to Sophie Volland*, trans. Peter France (Oxford UP, Oxford 1972).

Gustave Lanson's *Voltaire* (1906) was reissued with an introduction by Peter Gay (John Wiley, New York & London 1966). A new short biography is H.T. Mason's *Voltaire, A Biography* (Granada, London 1981). Nancy Mitford's *Voltaire in Love* (Hamish Hamilton, London 1957) is a good way to get to know Voltaire's fascinating lover, Mme du Châtelet.

The best biography of Rousseau is by Maurice Cranston, in 3 vols.: *Jean-Jacques; Noble Savage; The Solitary Self* (Allen Lane, London 1987, 1991, 1997 respectively). Mark Hulliung's *Autocritique of the Enlightenment: Rousseau and the Philosophes* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1994) is a brilliant study. *Rousseau* by Robert Wokler (Oxford UP, Oxford 1995) is also excellent. The essay on Rousseau in Paul Johnson's book *Intellectuals* (Weidenfeld & Nicholson, London 1988) is worth reading.

Montesquieu: a Critical Biography by R. Shackleton (Oxford UP, Oxford 1969) remains a classic. *D'Holbach's Circle: an Enlightenment in Paris* (Princeton UP 1977) shows the group that supported the most radical atheist of the age.

The Life of David Hume by E.C. Mossner (Clarendon Press, Oxford 1980) is the standard biography. *Wealth and Virtue: the Shaping of Classical Political Economy in the Scottish Enlightenment*, ed. M. Ignatieff & I. Hont (Cambridge UP, Cambridge 1983) surveys the Scottish Enlightenment. Michael Ignatieff's *The Needs of Strangers* (Chatto & Windus, London 1984) has fascinating chapters on Hume and Boswell, and on Smith and Rousseau.

تأويل وإعادة تأويل

There is much literature on the sociology of the period. Jürgen Habermas' study of the republic of letters in *The Structural Transformation of the Public Sphere* (Polity Press, Cambridge 1989) has inspired many commentaries and historical studies of intellectual life in the period. The sociology of intellectual circles is covered in Lewis Coser's *Men of Ideas* (Macmillan, London & The Free Press, New York 1970) and in the more detailed study by Robert Wuthnow, *Communities of Discourse: Ideology and Social Structure in the Reformation, the Enlightenment, and European Socialism* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1989).

Robert Darnton's books on the life of the mind and the circulation of ideas in the Ancien Régime include: *The Business of Enlightenment: a Publishing History of the Encyclopédie 1775–1800* (Belknap, Cambridge, Mass. & London 1979), *The Great Cat Massacre* (Penguin, Harmondsworth 1985), *The Literary Underground of the Old Regime* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London

1982), *Mesmerism and the End of the Enlightenment in France* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1968), and *The Forbidden Best-Sellers of Pre-Revolutionary France* (HarperCollins, London 1996).

A readable history of the French Revolution is Simon Schama's *Citizens: A Chronicle of the French Revolution* (Knopf, New York & Penguin, London 1989). Hannah Arendt's *On Revolution* (Penguin, Harmondsworth 1973) contains brilliant studies of the American and French revolutions from what might be termed an "Enlightenment" perspective.

The Dialectic of Enlightenment (1947) by Theodor Adorno & Max Horkheimer (Herder & Herder, New York 1972 & Allen Lane, London 1973) considers the dark side of the Enlightenment legacy. Max Horkheimer's essay "Some Remarks on Enlightenment" (1947), translated in *Theory, Culture & Society*, vol. 10 (SAGE Publications, London 1993) summarizes what Adorno and Horkheimer saw as "self-defeating" processes of Enlightenment. These themes are reconsidered in Zygmunt Bauman's *Legislators and Interpreters* (Polity Press, Cambridge & Cornell UP, Ithaca 1987) and *Modernity and Ambivalence* (Polity Press, Cambridge 1991). The contemporary legacy of the Enlightenment lies behind *The Philosophical Discourse of Modernity* by Jürgen Habermas (MIT Press, Cambridge, Mass. 1987 & Polity Press, Cambridge 1990). In his essay "What is Enlightenment?" in *The Foucault Reader* (Pantheon, New York 1984 & Penguin, Harmondsworth 1991) Michel Foucault engages with the contemporary relevance of Kant's famous essay.

لقد كانت المسألة المركزية فى الفلسفة والفكر النقدى منذ القرن الثامن عشر هى على الدوام: ما هذا العقل الذى نستخدمه؟ وما نتائجه التاريخية؟ وما حدوده، وما مخاطره»؟

ميشيل فوكو فى مقابلة « «المكان، والمعرفة، والقوة» (عام ١٩٨٢).

المنظر الاجتماعى الألمانى «يورين هابرماس» ربما كان أفصح مَنْ دافع عن الصلة المعاصرة بمشروع عصر التنوير.

«لا يزال لمفكرى عصر التنوير التوقعات المبالغ فيها، التى تقول إن الفنون والعلوم لن تروج فقط للسيطرة على القوى الطبيعية، بل سوف تفهم أبعد من ذلك السيطرة على العالم وعلى الذات، والتقدم الأخلاقى، وعدالة المؤسسات، بل حتى سعادة الموجودات البشرية، ولقد بعثر القرن العشرون هذا التفاؤل... أينبغى علينا أن نتمسك بنوايا عصر التنوير ومقاصده حتى ولو كانت ضعيفة كما هى ـ أم ينبغى علينا أن نعلن أن مشروع الحداثة برمته هو قضية خاسرة؟».

هابرماس «الحداثة فى مواجهة ما بعد الحداثة».
فى «النقد اليسارى الجديد» ٢٢ (شتاء عام ١٩٨١).

عالم الاجتماع المولود فى بولندا زيجمونت بومان هو واحد من كثير من المفكرين المعاصرين الذين حذروا من التسرع فى التوحد مع آمال عصر التنوير وتطلعاته، لقد رأى بومان أن «الحداثة » هى تاريخ طويل لاتجاه فكرى مكافح بين المثقفين عبَّر عن دعواهم عن قدرتهم للتشريع للمجتمع ككل، وبذلك حل المشكلات التى أثارتها الحداثة، (مثل نمو المجتمع المجزأ التجارى والتكنولوجى). لقد رأى بومان البحث عن «حلول » وغطرسة المشرِّعين العقليين على أنها متضمِّنة فى كثير من ألوان الرعب الموجودة فى الحداثة بما فى ذلك القتل الجماعى، وفى رأى بومان أن ما هو إيجابى فى الانتقال إلى «ما بعد الحداثة» هو الاعتراف بأنها تجسد أن علينا أن نتعلم أن نتعايش مع التغير الاجتماعى، ومع المشكلات الاجتماعية ،وأن المثقفين فى استطاعتهم أن يلعبوا دورا أكثر تواضعا لكنه أكثر فائدة كمفسرين لعالمنا المرتبك والمربك.

فى استطاعتنا أن نتصالح وأن نكون أصدقاء مع عصر التنوير، فتأملات ما بعد الحداثة الجذرية أعادتنا إلى عصر التنوير الذى نستطيع أن نتعرف فيه على الأسس نفسها التى تجعلنا نفهم العالم، فهو ـ كعصرنا ـ عصر انحلت فيه ألوان اليقين والاستقرار طويل الأمد، إننا نحتاج إلى نماذجه، فكما أن مفكرى عصر التنوير احتاجوا إلى الرومان المحببين لديهم من أمثال شيشرون وسينكا، وكما أنهم ناضلوا لإعادة فهم العالم بمصطلحات دنيوية فإن رجالاً من أمثال ديدرو قد خلبهم آخر المفكرين الوثنيين العظام فى سنوات «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها » وكما لاحظ مونتسكيو فقد كان القدماء «كتبًا حية» فقد عرفوا التاريخ، فى حين أن المحدثين امتلكوا التاريخ فحسب.

مراجع

Translations of the major works of the Enlightenment are readily available: Diderot's *Rameau's Nephew* and *This is Not a Story* (Oxford UP, Oxford & New York 1993); his *Selected Writings on Art and Literature*; Voltaire's *Letters on England* and *Candide* (Oxford UP, Oxford & New York 1990); Rousseau's *Reveries of a Solitary Walker* and *Discourses*; Montesquieu's *Persian Letters*; Hume's *Selected Essays* (Oxford UP, Oxford & New York 1993). (All Penguin UK/Viking USA except the three OUP titles listed above.)

مختارات

There are many anthologies of Enlightenment writings. My favourite is *The Portable Enlightenment*, ed. I. Kramnick (Penguin/Viking 1995); also *The Age of Enlightenment*, ed. L. Crocker (Macmillan, London 1969); *The Age of Enlightenment*, 2 vols., ed. S. Eliot, B. Stern (Open UP, London 1979); *The Age of Enlightenment*, ed. I. Berlin (Oxford UP, Oxford & New York 1979).

أعمال عامة

Peter Gay's *The Enlightenment, an Interpretation* (1969) is a treat (reissued by W.W. Norton, New York 1996: vol. 1, *The Rise of Modern Paganism*; vol. 2, *The Science of Freedom*). Ernst Cassirer's *The Philosophy of the Enlightenment* (1932) is a highly readable classic (Princeton UP, 1969). Norman Hampson's *The Enlightenment* (Penguin, Harmondsworth 1968) gives a clear insight into changes in scientific, social and political thought. There are still many surprises in Paul Hazard's *The European Mind 1680–1715* and *European Thought in the Eighteenth Century* (both Penguin, Harmondsworth 1968). Insights on recent scholarship are offered by Dorinda Outram, *The Enlightenment* (Cambridge UP,

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعـارف الإنسانية فى المجـالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحيـاز إلى كل مـا يؤسس لأفكار التـقدم وحضـور العلم وإشـاعة العـقلانيـة والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمـة الأصول المعرفيـة التى أصبـحت أقرب إلى الإطار المرجـعى فى الثقـافـة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٢٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٢٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٢٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدي أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد علي
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩-	الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستي	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسي التدعيمي	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسي سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحي
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	علي يوسف علي
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود علي مكي
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطي
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبري محمد عبد الغني
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهري
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعي
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدي أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسي العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلي
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومي

٧٥- فن التراجم والسير الذاتية | أندريه موروا | أحمد درويش
٧٦- جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي | مجموعة من المؤلفين | عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢) | رينيه ويليك | مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية | رونالد روبرتسون | أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف | بوريس أوسبنسكي | سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع» | ألكسندر بوشكين | مكارم الغمري
٨١- الجماعات المتخيلة | بندكت أندرسن | محمد طارق الشرقاوي
٨٢- مسرح ميجيل | ميجيل دي أونامونو | محمود السيد علي
٨٣- مختارات شعرية | غوتفريد بن | خالد المعالي
٨٤- موسوعة الأدب والنقد (جـ١) | مجموعة من المؤلفين | عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية) | صلاح زكي أقطاي | عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل (رواية) | جمال مير صادقي | أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧- نون والقلم (رواية) | جلال آل أحمد | ماجدة العناني
٨٨- الابتلاء بالتغرب | جلال آل أحمد | إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩- الطريق الثالث | أنتوني جيدنز | أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠- وسم السيف وقصص أخرى | بورخيس وآخرون | محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق | باربرا لاسوتسكا - بشونباك | محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر | كارلوس ميجيل | نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة | مايك فيذرستون وسكوت لاش | عبد الوهاب علوب
٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحبة | صمويل بيكيت | فوزية العشماوي
٩٥- مختارات من المسرح الإسباني | أنطونيو بويرو باييخو | سري محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى | نخبة | إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا (مج١) | فرنان برودل | بشير السباعي
٩٨- الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني | مجموعة من المؤلفين | أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠) | ديفيد روبنسون | إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة | بول هيرست وجراهام تومبسون | إبراهيم فتحي
١٠١- النص الروائي: تقنيات ومناهج | بيرنار فاليط | رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح | عبد الكبير الخطيبي | عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣- قبر ابن عربي يليه آياء (شعر) | عبد الوهاب المؤدب | محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجني (مسرحية) | برتولت بريشت | عبد الغفار مكاوي
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع | جيرارجينيت | عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسي | ماريا خيسوس روبييرامتي | أشرف علي دعدور
١٠٧- صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر | نخبـة من الشعراء | محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي | مجموعة من المؤلفين | محمود علي مكي
١٠٩- حروب المياه | جون بولوك وعادل درويش | هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء في العالم النامي | حسنة بيجوم | منى قطان
١١١- المرأة والجريمة | فرانسس هيدسون | ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ | أرلين علوي ماكليود | إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد — سادى بلانت — أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع — وول شوينكا — نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده — فرجينيا وولف — سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) — سينثيا نلسون — نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام — ليلى أحمد — منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر — بث بارون — لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى — أميرة الأزهرى سنبل — بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط — ليلى أبو لغد — مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية — فاطمة موسى — محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان — جوزيف فوجت — منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية — أنيتل ألكسندرو فنادولينا — أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية — جون جراى — أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى — سيدرك ثورپ ديڤى — سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة — ڤولڤانج إيسر — عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية) — صفاء فتحى — بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن — سوزان باسنيت — أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة — ماريا دولورس أسيس جاروته — محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية — أندريه جوندر فرانك — شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى — مجموعة من المؤلفين — لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة — مايك فيذرستون — عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) — طارق على — طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة — بارى ج. كيمب — أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت — ت. س. إليوت — ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا — كينيث كونو — سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر — جوزيف مارى مواريه — كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف — أندريه جلوكسمان — وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية) — ريتشارد ڤاچنر — مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار — هربرت ميسن — أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية — مجموعة من المؤلفين — نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل — أ. م. فورستر — حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى — ديرك لايدر — عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) — كارلو جولدونى — سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) — كارلوس فوينتس — أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) — ميجيل دى ليبس — على عبدالرءوف البمبى
١٤٧- مسرحيتان — تانكريد دورست — عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية — إنريكى أندرسون إمبرت — على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس — عاطف فضول — أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية — روبرت ج. ليتمان — منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	والتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس توسسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر	بول دي مان	سعيد الغانمي
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمي سيبروك	فخزى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى في المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البريرى

٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركي	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمري
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمي سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزي (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادي	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩- العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاي حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- في انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزي	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبري محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفي بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق علي منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	علي إبراهيم منوفي
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوي
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	علي بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومي
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريبين	علي يوسف علي
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلي	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	روميلو جابيجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيي الدين مزيد
٣١١- مقال في المنهج الفلسفي	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدي
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٣١٥- جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٣١٦- محاكمة سقراط	أي. ف. ستون	نسيم مجلي
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتري اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفي برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	دبليو بوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدي	محمود علاوي
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق علي منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامي صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراي	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	علي إبراهيم منوفي
٣٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالي ساروت	فتحي العشري
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوي
٣٣٩- تاريخ الأدب في إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخري لبيب

٢٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٢٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٢٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩-	ملك في الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤-	القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد علي بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبي النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	توبور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	برويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا ورببيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية القلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات هارولد بالمر محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج في النهار نصوص مصرية قديمة شريف الصيفى
٤٩٥- اللوبى إدوارد تيفان حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١) إكوادو بانولى مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط نادية العلى مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث جوديث تاكر ومارجريت مريودز أحمد على بدوى
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع مجموعة من المؤلفين فيصل بن خضراء
٥٠٠- فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية تيتز رووكى طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (جـ١) أرلن جولد هامر سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة مجموعة من المؤلفين هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسي الحديث نخبة من الشعراء محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١) مارتن هايدجر إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢) مارتن هايدجر إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية) آن تيلر عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية) بيتر شيفر شوقى فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى عبدالباقى جلبنارلى عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك آدم صبرة قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية) كارلو جولدونى عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقَّع (رواية) آن تيلر عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائى تيموثى كوريجان جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور تيد أنتون مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية جونثان كولر مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة فدوى مالطى دوجلاس فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان أرنولد واشنطون ودونا باوندى صبرى محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى نخبة سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون إسحق عظيموف هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة جوزايا رويس أحمد الأنصارى
٥٢٠- الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع أحمد يوسف أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة آرثر جولد سميث عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها أميركو كاسترو على إبراهيم منوفى
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن باسيليو بابون مالدونادو على إبراهيم منوفى
٥٢٤- الملك لير (مسرحية) وليم شكسبير محمد مصطفى بدوى
٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى دنيس جونسون نادية رفعت
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية ستيفن كرول ووليم رانكين محيى الدين مزيد
٥٢٧- أقدم لك: كافكا ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب جمال الجزيرى
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية طارق على وفلْ إيفانز جمال الجزيرى
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى محمد إقبال حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية رينيه جينو عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢- المغامر والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	على عبد الرءوف اليمبي
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر في عهد محمد على	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومی بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسی	سير رويرت های	يوسف الشارونی
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانی المعاصر	إيميليا دی ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فی زمن الفراعنة	برونو آليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتی	جمال الجزيری
٥٧٤- مصر القديمة فی عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعی
٥٧٥- الاقتصاد السياسی للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشری محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودی	محمد قدری عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومی ميزوكوشی	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكی	چون ماهر وچودی جروبز	محيی الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	چون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحی عبدالهادی
٥٨١- الحمقی يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا علی الذات (رواية)	هوشنك كلشيری	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت أبادی	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيری	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروی أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينی	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدی
٥٨٨- أمنحوتپ الثالث	آنييس كابرول	ماهر جويجاتی
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدی عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	علی عبدالتواب علی وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبری السوربونی	مجدی عبدالحافظ وعلی كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليری	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانی فوزی
٥٩٥- الحكم والسياسة فی أفريقيا (جـ٢)	إكوابو بانولی	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فی العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومی علی قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوی
٦٠٠- الإسلام فی التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلی
٦٠٢- ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافی	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسی
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق علی منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكی (الصغير)	مصطفی إبراهيم فهمی
٦٠٦- قصة البردی اليونانی فی مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنی

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩١	أليس بسيريني	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥- الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن وورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١- برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧- رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨- بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١- ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢- آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥- أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١- روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢- رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣- امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤- الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥- عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨- ثقافات العولة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩- ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣- ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥- أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦- أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠- سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية الكاملة (أنا كنت) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة (رواية)	فتاتة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩- الملف (مسرحية)	تاديوش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤- أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥- أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٨٤٣ / ٢٠٠٥